



إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

مطاردة القنّاص

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ جرائم الاغتيال ..

فى إحدى المدن الأمريكية بولاية نيويورك ، توقفت سيارة البريد أمام (ڤيلا) أحد الدبلوماسيين المصريين ..

كانت الڤيلا مؤلفة من طابق واحد ، تحيط بها حديقة صغيرة ثُبِّت عن يمين بابها الخشبى صندوق بريد متوسط الحجم .

وهبط ساعى البريد من السيارة ، ووضع طردًا صغيرًا فى صندوق البريد .. ثم انصرف بسيارته بعد أن ضغط على آلة التنبيه عدة مرات ؛ ليلفت النظر إلى حضوره .

وأثار انتباه الدبلوماسى المصرى صوتِ آلة التنبيه .. فنظر من نافذة (الڤيلا) ليرى سيارة البريد وهى تتحرك مبتعدة عن المكان .. وعلى الفور خرج الدبلوماسى ليفتح صندوق البريد ، فوجد الطرد الصغير بداخله .

واستدار عائدًا نحو باب (الفيلا) وهو يقلب الطرد المغلق بين يديه ، ويقرأ اسم المرسل .

وقبل أن يفتح الباب قام بفض المظروف الذى يحوى على الطرد الصغير .. ولم يكد يفعل حتى انفجر الطرد بين يديه انفجارًا مروعًا ، أطاح به وبواجهة (الفيلا) .

وعلى أثر ذلك الانفجار الرهيب الذى أحال جسد الدبلوماسى المصرى إلى أشلاء مبعثرة .. خرج سكان المنطقة بأسرها يستطلعون جلية الأمر ، وقد شملهم الرعب والهلع ..

* * *

وفى صباح اليوم التالى .. كان ساعى البريد الزائف ممدَّدًا فوق سريره فى غرفة صغيرة بأحد الفنادق ، وبين يديه الجريدة الصباحية التى تحمل أنباء الحادث المروِّع .. وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غامضة .

* * *

وبعد أربعة أيام من ذلك الحادث كان أحد المؤجرين البلجيكيين يعرض على المستأجر الجديد مزايا شقته المفروشة التى يود أن يؤجرها له .. والتى تقع فى الدور الأخير من إحدى البنايات الشاهقة فى مدينة بروكسل .

ولم يكن المستأجر فى حاجة لمن يعدد له مزايا الشقة ؛ فقد كان مقتنعًا بها تمامًا .. فقام بتوقيع العقد مع المالك الذى انصرف تاركًا المستأجر واقفًا أمام النافذة ، ملقيًا نظرة على الميدان الفسيح الذى يقع أسفل البناية ، والذى بدا له ضئيلًا من هذا الارتفاع الشاهق .

ونقل المستأجر الجديد بصره بين البنايات التى تتفاوت فى أحجامها ، وتقع فى الجانب الآخر من الميدان .

وقام بإحضار منظار مقرب ، أخذ يدقق النظر من خلاله فى تلك البنايات ، حتى توقف أمام مبنى متوسط الحجم ، يتميز بالأناقة وقد أحاطت به حديقة جميلة .

وأخذ يحرك بؤرة العدسة المقربة يمنة ويسرة عدة مرات ، حتى وضح لناظريه ذلك المبنى وضوحا تاما .

ثم عادت بؤرة العدسة لتستقر على اللافتة المعلقة على واجهة المبنى ، والمكتوبة بالفرنسية .

كانت تشير إلى أن هذه (الڤيلا) الأنيقة هى المقر الرئيسى لجمعية الصداقة المصرية البلچيكية .

وأبعد المنظار من فوق عينيه وهو يبتسم محدثًا نفسه :

ــ لقد كنت على يقين من أن هذه الشقة ستفى بالغرض تمامًا .

ونزع اللحية الزائفة التى كان يضعها فوق ذقنه ، وكذلك المنظار الطبى السميك ، والشارب الغليظ ، ليبدو بعد أن أزال أدوات التنكر هذه ، هو نفس الرجل الذى كان يستقل سيارة البريد منذ أربعة أيام فى ولاية نيويورك ، والذى تسبب فى حادث الانفجار المروّع الذى أطاح بالدبلوماسى المصرى ..

* * *

فى السادسة من مساء اليوم التالى ، كانت جمعية الصداقة (المصرية البلچيكية) تستقبل عددا من المدعوين المصريين والبلچيكيين ، فى الحفل المقام بمقر الجمعية بمناسبة قدوم السفير المصرى الجديد إلى العاصمة البلچيكية .

كان المكان يموج بالحركة والأضواء ، دون أن يفطن أحد من المدعوين الذين كانوا يتوافدون تباعا ، أن هناك شخصا على مبعدة ثلاثين مترًا من هذا المكان يتابع بدوره هذا الاحتفال ، ويترقب مثلهم وصول السفير المصرى إلى مقر الجمعية .

لم يكن هذا الشخص سوى ذلك المستأجر الجديد الذى يقطن فى أعلى البناية المواجهة لمقر الجمعية .

وبين الفينة والفينة كان الرجل يتطلع إلى ساعته ، وحالما أشارت الساعة إلى وقت معين همّ واقفا ، وفتح حقيبة كبيرة كان قد أحضرها معه لتبدو بداخلها أجزاء منفصلة لبندقية آلية حديثة مزودة بمنظار تلسكوبى وحامل .

أخرج الرجل الحامل من مكانه ، وفرد أجزاءه ، ثم أخذ يجمع الأجزاء المختلفة للبندقية الآلية بعد أن زودها بالمنظار التلسكوبى ، لتأخذ شكلها النهائى ، وثبتها فوق الحامل المعدنى فى مواجهة النافذة المطلة على الميدان .

وعاد ذلك الشخص الغامض يتابع ما يدور بمبنى الجمعية المصرية البلچيكية من خلال المنظار التلسكوبى وهو يتحكم فى حركة البندقية الآلية . ويديرها فوق الحامل بدقة تامة ، ومهارة عالية حتى جعل فوهتها موجهة نحو المدخل الخارجى للجمعية تمامًا .. وعاد ينظر إلى ساعته من آن لآخر كأنه يتعجل مرور الوقت ..

وفى السادسة والنصف تمامًا ، قدمت سيارة السفير المصرى ، وتوقفت أمام مقر جمعية الصداقة .

ووقف رئيس الجمعية أمام الباب الخارجى لاستقبال السفير المصرى .. وانتهز الرجل الغامض لحظة خروج السفير من السيارة متجهًا نحو رئيس الجمعية لمصافحته ، وصوّب بندقيته الآلية نحوه ، بعد أن أصبح جسد

السفير فى منتصف العلامة المثبتة فى التلسكوب .

وفى خلال ثانية أو اثنتين كانت إصبعه تضغط على زناد البندقية لتنطلق منها عدة رصاصات ، تستقر فى جسد السفير المصرى ، ويسقط على سُلم المبنى مضرجًا فى دمائه ، وسط ذهول الجميع وهلعهم ..

وبمنتهى الهدوء والثبات رفع القناص الغامض البندقية من فوق الحامل ، وأعاد فك أجزائها ، وردّها إلى الحقيبة مرة أخرى .. ثم صعد إلى أعلى المبنى ، وقفز من فوق سطحه إلى سطح مبنًى آخر مجاور ، هبط من سلمه الخلفى إلى الشارع المقابل .

ووقف يشير إلى سيارة أجرة قادمة على الطريق ، حيث دلف إلى داخلها وهو يطلب من سائقها التوجّه به إلى مطار بروكسل .

* * *



كانت إصبعه تضغط على زناد البندقية لتنطلق
منها عدة رصاصات ، تستقر فى جسد السفير المصرى ..

٢ ــ الذئب والصياد ..

فى (صالة) التدريب على الرماية بإدارة العمليات الخاصة وقف المقدم (ممدوح) يشرف على تدريب أحد الضباط الجدد الذين التحقوا بالإدارة حديثًا .

كان الضابط الجديد شابًا وسيمًا ، أسمر اللون ، مفتول العضلات ، يبدو مظهره كأحد أبطال كمال الأجسام .. وبعد أن اختبر (ممدوح) قدراته فى الرماية قاده إلى (صالة) التدريب الرياضى لإجراء عدد من الاختبارات الرياضية لتحديد مستواه ، وإمكاناته البدنية .

ونادى (ممدوح) أحد الرجال ، طالبًا منه منازلة الشاب لاختبار مهارته فى المصارعة الحرة .. قائلاً للضابط الشاب :

ــ إنك تحوز شهادة تثبت أنك كنت أحد أبطال

المصارعة فى أثناء وجودك بكلية الشرطة .. **فدعنا نر** بعضًا من بطولاتك مع هذا الرجل .

نظر الضابط الشاب باستخفاف إلى الرجل الذى سينازله .. فقد كان الرجل قصير القامة ، نحيل الجسم ، غير متناسق القوام ..

قال الضابط الشاب لـ (ممدوح) :

ــ أتعتقد أن منازلتى لهذا الرجل ستكون متكافئة ؟ لقد كنت أفوز دائمًا فى جميع مباريات المصارعة بالكلية مع أشخاص فى أربعة أمثال حجمه ..

ممدوح :

ــ حسنًا .. ولكننى مع ذلك أريد منك أن تنازله .

الملازم :

ــ لكن .

وتقدم الشاب من الرجل القصير القامة ، وهجم عليه محاولًا الإمساك برأسه .

ولكن الرجل النحيل كان أسرع منه .. فقد أمسك

بيد الشاب ، واستطاع بحركة فنية مباغتة أن يطيح به فى الهواء .

ووجد الملازم الشاب نفسه ممددًا على الأرض وهو لا يكاد يصدق .

فقد كانت الحركة خاطفة بارعة ، حتى أنه لم ير يد الرجل وهى تمسك به ، لتلقى به أرضًا على هذا النحو .

وبرغم بطولاته السابقة فى المصارعة فقد ألقى به أرضًا ــ كأى ناشئ مبتدئ ــ هذا الرجل الذى كان يستخف به .

وابتسم (ممدوح) وهو يساعده على النهوض قائلًا :

ــ هذا هو الدرس الأول الذى قصدت أن تتعلمه هنا .. ألاَّ تستخف بخصمك مهما كان حجمه .. إن هذا الرجل الذى كنت تستهين به هو مدرِّبى ، وقد تدرَّب على يديه العديد من ضباط الإدارة ، وكل ما تعلمته عن المصارعة أو ما حصلت عليه من

بطولات يعد بالنسبة له مجرد لعب أطفال .. فالتدريب الحقيقى يبدأ هنا .

هنا ستتعلم أشياء أخرى لم تكن تعرفها ؛ لأن هناك فرقًا كبيرًا بين التدريب للحصــول على البطولات الرياضية ، والتدريب لمواجهة الموت الذى تخرج دائمًا للقائه فى عملياتنا .

وفى أثناء حوار (ممدوح) مع الملازم الشاب،دخل اللواء (مراد) إلى (صالة) التدريب .. وعلى الفور أسرع الموجودون (بالصالة) جميعًا بالوقوف لتحيته .

ووجه اللواء (مراد) حديثه إلى المقدم (ممدوح) قائلا :

ــ كيف حال الضابط الجديد ؟

ممدوح :

ــ إن لديه استعدادًا طيبًا يا سيادة اللواء .. وسوف يكون معدًا للعمل معنا بعد ثلاثة أشهر من التدريب .

اللواء مراد :

ــ عظيم .. سيستكمل المقدم (صلاح) معه البرنامج التدريبى .. أما أنت فأريد منك أن تحضر الآن إلى قاعة العرض السينمائى .. سأكون فى انتظارك بعد ربع ساعة .

ممدوح :

ــ حاضر يا أفندم .

واستدار اللواء (مراد) خارجًا من (الصالة) .

ووضع (ممدوح) يده على كتف الضابط الشاب وهو يبتسم له قائلاً :

ــ يبدو أن اللواء (مراد) قد أعدَّ لى مهمة جديدة .. عمومًا فالمقدم (صلاح) من أكفإ رجال الإدارة ، وعليك أن تستفيد منه ، وتخلص معه فى تدريبك ، وأنا واثق أنه سيُعِدُّك إعدادًا جيدًا لتكون جديرًا بالعمل فى هذه الإدارة .

كما أريد منك ألا تنسى الدرس الذى تلقيته منذ لحظات .

الملازم الشاب :

ـ أشكرك يا سيادة المقدم على ما بذلته معى من مجهود ، كما أعِدُك بألا أنسى ذلك الدرس ما حييت ..

* * *

وفى قاعة العرض السينمائى الخاصة بالإدارة جلس اللواء (مراد) ومعه المقدم (ممدوح) ليتابعا على الشاشة مجموعة من اللقطات لعدة شخصيات مختلفة .

وأشار اللواء (مراد) لإيقاف آلة العرض ، وإضاءة القاعة ، ثم التفت إلى (ممدوح) قائلاً :

ـ إن تلك الشخصيات التى رأيتها الآن على الشاشة هى لرجل واحد ..

رجل يجيد فن التنكر .. ويجيد أيضًا فن القتل بوسائل متعددة ..

اسمه الحقيقى (مارك توماس) ، ولكنه يشتهر بالقنّاص .

وهو بالفعل قنّاص ماهر ، يعرف جيدًا كيف

يصطاد ضحاياه ، ويقضى عليهم .. إنه باختصار يحترف الإرهاب والقتل .

ولقد كوّن مع اثنين من أشقائه فريقًا إرهابيًا قام بالعديد من الاغتيالات السياسية ، وأطلقوا على أنفسهم اسم (الثلاثى المرعب) ، ومنذ ثلاثة أشهر قدم هذا الفريق إلى القاهرة لتنفيذ إحدى العمليات ..

ولكننا نجحنا فى إحباط مخططهم ، وأمكننا أن نقبض على اثنين من ذلك (الثلاثى الدموى) .

إلا أن أخطرهم وهو الذى رأيت لقطات له منذ قليل والمعروف بالقنّاص،تمكن ـ ويا للأسف ـ من الهروب فى اللحظة الأخيرة ، والفرار خارج البلاد .

وهو الآن يسعى جاهدًا للضغط علينا للإفراج عن شقيقيه مستخدمًا فى ذلك الأسلوب الوحيد الذى يجيده وهو أسلوب الاغتيالات .

فقد توعَّدنا بقتل عدد من السفراء والدبلوماسيين المصريين فى مختلف البلاد ، كلما طالت فترة اعتقال

شقيقيه ، وبأنه لن يكف عن ذلك إلاّ إذا أفرجنا عنهما ، وسمحنا لهما بمغادرة البلاد .

وبلغ من تحدّيه لنا أنه يحدد لنا دائمًا الضحية التالية عن طريق رسالة صغيرة تتسرب إلينا بوسيلة ما .

ثم ينجح فى القضاء على ضحيته برغم جميع الاحتياطات ووسائل الأمن التى يتم اتخاذها لحماية أولئك الضحايا .

وكان آخر هؤلاء الضحايا هو سفيرنا فى بلچيكا .

ومنذ ثلاثة أيام وصلتنا رسالة أخرى منه ، يهدد فيها بأن الضحية القادمة ستكون هى السفير المصرى فى (أنديستان) خلال الأسبوع القادم .

إننا لن نخضع لتهديداته ، ولكننا لا نشك فى أنه سيسعى لتنفيذ ما توعّد به ، كما فعل فى المرات السابقة .

لذا فنحن نريد أن نمنعه بأية وسيلة من تحقيق هدفه .

وأعتقد أنك الآن قد أدركت نوعية المهمة المسندة إليك .. إنها تنقسم شقين :

الأول : الحفاظ على حياة (السفير المصرى) فى (أنديستان) ، وحمايته من التعرض للاغتيال .. عن طريق إشرافك على فريق الأمن الذى سيكلف حراسته ، والذى سيتولاه بعض رجال الإدارة ، بدلاً من الحراسة التقليدية .

الثانى : القضاء على هذا القاتل المحترف بأية وسيلة .. وهذا يعنى القبض عليه أو قتله .

ولك أن تعرف أن هذا الإرهابى الدولى مطلوب فى الكثير من دول العالم ، واسمه مُدرج فى أول قائمة مكافحة الإرهاب الدولى ؛ لذا سيكون اقتناص ذلك القنّاص بمثابة خدمة عظيمة لنا ، وللبوليس الدولى ، بل للإنسانية جمعاء ..

ممدوح :

ـــ اطمئن يا سيادة اللواء ؛ فلن أدع ذلك الإرهابى يتسبب فى وقوع جرائم جديدة .. وتهديد دبلوماسيينا .

اللواء مراد :

— إن الأمر ليس بالسهولة التى تتصورها .. فكما قلت لك هذا الرجل قاتل محترف .. لديه أساليب متنوعة لارتكاب جرائم القتل ووسائل مختلفة للتنكُّر .. إنه يملك براعة الثعالب فى الإفلات من مطارديه ، ووحشية الذئاب فى الفتك بأعدائه .

قال (ممدوح) وشبه ابتسامة ترفُّ فوق شفتيه :

— لعلك لا تنسى يا سيادة اللواء .. أننى كذلك (صياد محترف) واصطياد الذئاب من أمثاله هى حرفتى !!

* * *

٣ — صراع فى السفارة ..

فى مدينة (كاندين) عاصمة (أنديستان) والتى تقع فى المحيط الهادى ، كانت هناك إجراءات أمن مشددة ، تتخذ حيال السفارة المصرية الواقعة فى أرقى أحياء المدينة .

وقد تم الاتفاق مع شرطة العاصمة على أن تتولى هى تأمين السفارة من الخارج ، عن طريق حماية المنطقة التى توجد بها .. على أن يتولى فريق الأمن المصرى بقيادة المقدم (ممدوح) تأمينها من الداخل .

وكان المقدم (ممدوح) ومعه عدد من أكفأ رجال الإدارة يتولّون إجراءات فحص الأوراق الخاصة بالمترددين على السفارة .. وتفتيشهم بدقة وعناية تحسُّبًا لكل الاحتمالات ..

كذلك تم بث دوائر تليفزيونية مغلقة ، تكشف

المنطقة المحيطة بالسفارة ، لرصد أى تصرف مريب أو غير طبيعى يحتمل وقوعه .. أيضا أحيطت تحركات السفير المصرى بإجراءات أمن غير عادية .

وفى اليوم الرابع من الأسبوع الذى حدده القناص لتنفيذ تهديده بالاغتيال ، قدم إلى السفارة مجموعة من السائحين الراغبين فى زيارة مصر والاطلاع على معالمها .. للحصول على تأشيرة دخول إلى الأراضى المصرية .

وكان من بين هؤلاء السائحين رجل طويل القامة ، متين البنيان ، تدلّى شعره الطويل فوق كتفيه ، فى حين كانت لحيته كثيفة غير مهذبة .

فحص (ممدوح) أوراق الرجل ، فعرف منها أنه عضو فى إحدى الفرق الموسيقية .

وأعاد له (ممدوح) الأوراق قائلاً :

— ماذا تريد ؟

فأجابه صاحب الشعر الطويل :

— تأشيرة سياحية لزيارة مصر ..

وأشار (ممدوح) لأحد رجاله ؛ لكى يقوم بتفتيشه قائلا له :

— آسف لهذه المعاملة الخشنة ، ولكننا مضطرُون لاتخاذ بعض الإجراءات الوقائية .

ابتسم الرجل قائلاً :

— لا عليك .. فإننى مقدّر ذلك .

وأنهى رجل الأمن عملية التفتيش ، وهزّ رأسه لـ (ممدوح) دلالة على خلو ثياب الرجل مما يريب ..

عندئذ سمح له (ممدوح) بالدخول .

وأمام مكتب سكرتير السفارة قدم الرجل جواز سفره ، طالبًا الحصول على تأشيرة لزيارة جمهورية مصر العربية .

فطلب منه السكرتير أن ينتظر مع الآخرين إلى حين تقديم الجوازات إلى السفير فى مكتبه بالداخل ، لاعتمادها والتأشير بالموافقة .

وجلس الرجل بجوار مكتب سكرتير السفارة متظاهرًا بالاطلاع على بعض النشرات السياحية .

ولكنه انتهز فرصة دخول السكرتير إلى مكتب السفير .. وقام بفك سوار الساعة الملتف حول معصمه ، وهو يختلس النظر إلى مَنْ حوله ، ثم غافل الجميع ، وألقى بساعته فى سلة المهملات التى بجوار المكتب بعد أن غطّاها بالأوراق التى تملأ السلة .

وعاد للتظاهر بقراءة النشرات السياحية من جديد .

وبعد قليل عاد السكرتير ، ليعلن للموجودين بأن التأشيرات السياحية سيستغرق إعدادها بضع ساعات ..

ونهض عازف الموسيقى ليسأل سكرتير السفارة قائلاً :

ـــ هل يمكن أن أنصرف الآن وأعود فى غد لتسلُّم جواز السفر ؟

وأجابه السكرتير :

ـــ نعم .. يمكنك ذلك بالطبع .

العازف :

ـــ إذن فأحضر فى غد .. شكرًا لك .

ثم استدار متجهًا نحو الباب الداخلى فى طريقه لمغادرة مبنى السفارة .. وفى ذلك الوقت كان (ممدوح) يشرف على تفتيش زائر جديد ، فحيَّاه الرجل ساعة انصرافه هو ومن معه ملوِّحًا بيده .

وردّ عليه (ممدوح) التحية .. ولكنه تنبَّه إلى شىء لم يكن ليتنبه له الآخرون ، وذلك لما يتحلّى به من قوة ملاحظة ، وشدة فراسة ..

فقد فطن (ممدوح) إلى غياب ساعة الرجل من معصمه .. وذلك أن هذه الساعة كانت غريبة فى شكلها وحجمها ، واسترعت انتباه (ممدوح) فى أثناء تفتيشه للرجل لحظة دخوله .

رفع (ممدوح) صوته قائلا للرجل قبل أن يهبط درجات السلم :

– انتظر .

ونظر الرجل إلى (ممدوح) فى دهشة ، فى حين كان الأخير يتقدم منه قائلاً :

– أفقدت ساعتك ؟

وارتبك الرجل وأرتج عليه ، وأخذ يتلعثم ويقول :

– ساعتى .. إنها .. إنها ..

ممدوح :

– نعم ، كانت فى يدك ساعة جميلة منذ لحظات قبل دخولك ، وكنت أتمنى لو أننى أقتنى واحدة مثلها .

وحاول الرجل أن يستعيد رباطة جأشه ، فقال :

– نعم .. ربما أكون قد فقدتها بالداخل .

وأخرج (ممدوح) مسدسه ليصوِّبه نحو الرجل قائلاً :

– حسنًا .. دعنا ندخل لنبحث عنها معًا .

وانصاع الرجل للأمر ودخل معه .. فى حين أشار (ممدوح) لرجاله بتفتيش مكتب السفارة من الداخل



وأخرج (ممدوح) مسدسه ليصوِّبه نحو الرجل قائلاً :
– حسنًا .. دعنا ندخل لنبحث عنها معًا .

تفتيشًا دقيقًا بحثًا عن هذه الساعة التى أثارت ريبته .

أسرع الرجال يقلبون المكان رأسًا على عقب ، وسط دهشة الزائرين ومعهم السفير ، الذى خرج من مكتبه على إثر الضجة التى أثارتها عملية التفتيش .

وبعد قليل لمح أحد رجال الأمن طرف سوار الساعة المختفية ، وسط كومة الأوراق التى تزخر بها سلة المهملات بجوار مكتب السكرتير .

فقام بإخراجها من مكانها ، وقدمها لـ (ممدوح) الذى لوَّح بها للرجل قائلاً :

ـ أليس من السذاجة أن تلقى بساعة كهذه فى سلة المهملات ؟

وسلَّم (ممدوح) مسدسه لأحد رجال الأمن التابعين له قائلاً له :

ـ لا تتردد فى إطلاق الرصاص إذا ما حاول ذلك الرجل الهرب..

ووضع (ممدوح) الساعة على المكتب ، وبدأ يفك غطاءها المعدنى بمنتهى الحرص والعناية .

باعد الغطاء المعدنى عن الساعة قليلاً ليرى سلكًا صغيرًا متصلاً بها ، وبجهاز دقيق للغاية مثبت فى الغطاء .

وباستخدام خبرته راح يفك السلك الذى يصل بين أجزاء الساعة والجهاز الدقيق ، حتى تمكن من فصله عنه ، بعد أن تصبَّب عرقًا كمن بذل مجهودًا بدنيًا هائلاً .. ولم يكد ينتهى حتى أخذ نفسًا عميقًا ، ورفع ناظريه إلى السفير قائلاً :

ـ هذا ما توقعته .. لقد كانت هذه الساعة الزائفة قنبلة زمنية معدة للانفجار ، وتحطيم هذا المبنى بأكمله خلال دقائق .

وبينما اتسعت نظرة الدهشة والذهول فى عينى السفير ، علت شهقات الرعب والفزع بين زائرى السفارة وموظفيها .

قال (ممدوح) للرجل وهو يدنى الساعة من عينيه :

ــ لقد كانت عقارب الساعة مثبتة على الثانية عشرة والنصف أى بعد أربعين دقيقة من دخولك .. وبالتالى فقد كنت تنتظر أن تسمع صوت الانفجار الذى كان مقدَّرًا له أن يحدث بعد خمس دقائق من الآن عندما تصل إلى نهاية الشارع .

ثم اقترب منه ونزع عنه الشارب المستعار ، و (باروكة) الشعر قائلاً :

ــ والآن .. دعنا نتعرَّف شخصيتك الحقيقية .. أيها السادة أقدم لكم القنّاص .. الإرهابى الدولى الشهير والقاتل المحترف .

ونظر إلى مساعده وقال :

ــ حسنًا .. أعطنى هذا المسدس ، وضع السلاسل فى معصميه ، فقد انتهت مهمتنا .

أعاد رجل الأمن المسدس إلى (ممدوح) ، وهو يخرج السلاسل الحديدية من جيبه ، ليلفها حول معصم الرجل .

ولكن القناص انتهز تقدم السفير نحو (ممدوح) ليشكره ، فوجَّه ضربة عنيفة إلى بطن رجل الأمن ، الذى انثنى من شدة الألم .

وفى حركة سريعة لا تصدر إلا عن محترف ، كان القناص قد استطاع أن ينتزع السلسلة الحديدية من مساعد الأمن ، ويلتف خلفه فى سرعة مذهلة ، ليطبق بالسلسلة الحديدية حول عنقه بعنف كاد معه أن يختنق ..

ونظر القناص وهو يحتمى بمساعد الأمن إلى (ممدوح) ، وقال :

ــ والآن أيها الرجل الذكى .. إذا كنت حريصا على حياة مساعدك فألق بمسدسك على الأرض ، وأخل الطريق قبل أن أحطِّم عنقه .

ونظر إليه (ممدوح) نظرات ملؤها الغل ، وبان عليه التردد والعجز ، فى حين قال له الرجل :

ـ هيا يا عزيزى .. لا تضيّع الوقت .. قبل أن تندم على موت مساعدك .

ولم يلبث (ممدوح) أن ألقى بمسدسه على الأرض فى اتجاه القناص .

* * *



٤ ــ مطاردة يائسة ..

فى بطء وحذر شديدين بدأ القناص يقترب من المسدس الملقى على الأرض ، ويداه ما زالتا ملتفتين بالسلسلة الحديدية حول عنق الرجل الذى كان يتترس به .

وفى تلك اللحظة ، تحرك أحد مساعدى (ممدوح) ، وكان يقف بجوار الباب ، فى محاولة للالتفاف حول القناص ، فى أثناء تقدمه لالتقاط المسدس من على الأرض .

وبهدوء سحب رجل الأمن مسدسه لاصطياد القناص من الخلف ، ونظرات (ممدوح) تتبعه ، على أمل أن تنجح المحاولة .

ولكن القناص الذكى اللّماح ، أدرك من نظرات (ممدوح) ومن معه أنها مركزة على شىء ما يجرى خلفه ، فدفع بقوة رجل الأمن الذى كان يطبق

بالسلسلة الحديدية حول عنقه تجاه (ممدوح) والآخرين .

وبأسرع من ومض البرق انحنى ليلتقط المسدس من على الأرض، ثم استدار بسرعة مذهلة حول نفسه، ليوجّه رصاصة عاجلة إلى صدر الرجل الذى كان يلتف خلفه .. كانت سرعته فى استخدام المسدس خارقة ولا شك .. وانتهز القناص فرصة الفوضى التى اندلعت فى المكان ، والذعر الذى أصاب زائرى السفارة وراح يوجه رصاصاته فى كل اتجاه وهو يمرق من الباب ، قافزًا درجات السلم ، منطلقا نحو درّاجته البخارية التى تركها بجوار رصيف الشارع .

قفز فوق الدراجة البخارية ، لينطلق بها كالسهم مبتعدًا عن المكان ، فى الوقت الذى أثارت فيه أصوات الرصاصات انتباه رجال الشرطة المحيطين بالسفارة .

فأسرع بعضهم فى إطلاق الرصاص نحو الدراجة البخارية المسرعة ، فى نفس الوقت الذى كان (ممدوح)

فيه يسرع بالقفز فوق درجات السلم ، وهو يشير إلى إحدى سيارات الشرطة التى كانت فى طريقها لمطاردة الدراجة البخارية .

وقفز (ممدوح) فى السيارة التى اندفعت فى طريقها خلف القناص الذى بدا أن دراجته من نوع غير عادى .

ففى اللحظة التى برزت فيها إحدى سيارات الشرطة الأخرى من الشارع المقابل لتقطع عليه الطريق ، استطاع القناص فى حركة بهلوانية تتسم بالجسارة الشديدة والمهارة الفائقة أن يقفز بدراجته البخارية من فوق السيارة ، ويهبط إلى الجهة الأخرى متابعًا طريقه .

وعطلت السيارة الاعتراضية السيارة الأخرى التى كان (ممدوح) يستقلها ، نظرًا لضيق الشارع .

واستغرقت كلتا السيارتين وقتا غير قصير لتتمكنا من الاستدارة ومتابعة الدراجة البخارية .. ولكنه كان وقتا كافيا لابتعادها عنهما بمسافة كبيرة ، وقام رجال الشرطة

ومعهم (ممدوح) بتصويب رصاصات مسدساتهم نحو الدراجة .

لكن يبدو أن الإمكانات غير العادية لهذه الدراجة لم تكن قد فرغت بعد ، فقد ضغط القناص على أحد أزرارها لينطلق من ماسورة صغيرة فى مؤخرتها بخار كثيف أشبه بالضباب ، تعذر معه رؤيتها ، وبالتالى حال دون متابعتها .

وتوقفت سيارتا الشرطة ، وقد شعر رجالها باليأس من الاستمرار فى المطاردة إزاء هذا التطور المفاجئ ..

ولكن (ممدوح) لم يقنط ، فقد فتح باب السيارة ، وأسرع يعدو نحو أحد الشبان الواقفين على جانبى الطريق .

كان ذلك الشاب يقف مستندًا إلى دراجته البخارية ، بعد أن انتحى بها جانبا إلى الرصيف ليخلى الطريق أمام سيارات الشرطة القادمة .. وقد استرعت انتباهه تلك المطاردة المثيرة .

صاح فيه (ممدوح) وهو يمسك بمقود دراجته البخارية :

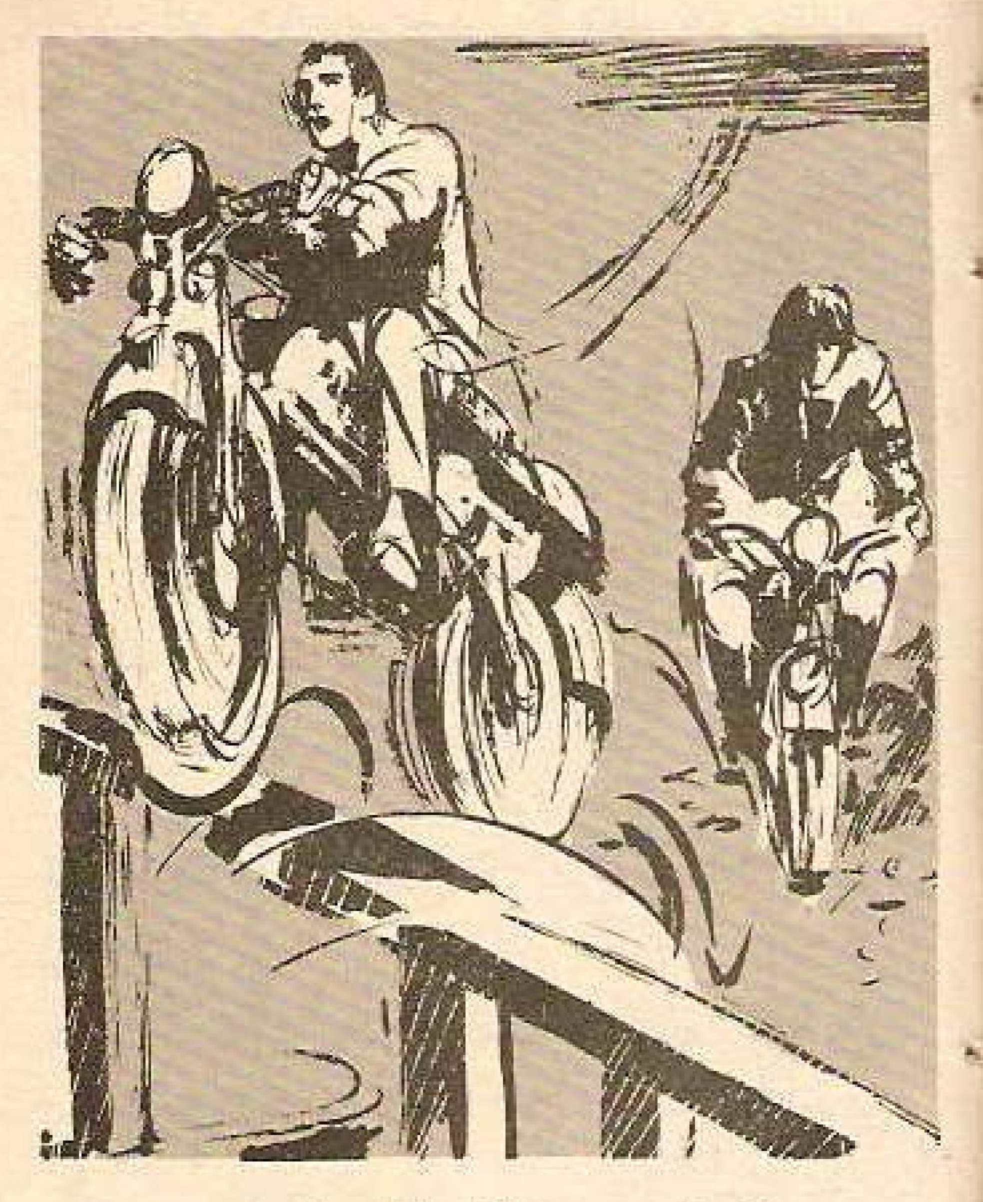
— أتسمح لى أن أستعير دراجتك بضع دقائق ؟

ولم ينتظر ردًّا من الشاب .. بل قفز فوق الدراجة توًّا ، وانطلق بها ، تاركا صاحبها واقفا مذهولا .. لا يدرى ماذا يفعل ..

وانطلق (ممدوح) بسرعة جنونية مقتحما الدخان الكثيف ، ليتابع مطاردة القناص ، غير آبه بما قد يعترضه فى الطريق .

وإن هى إلا دقائق حتى اتضحت أمامه الرؤية من جديد ، فشاهد غريمه بعد أن هدأ من سرعته على اعتقاد أنه قد ابتعد عن خصومه بمسافة كافية .

وحاول (ممدوح) اللحاق به ، ولكن القناص ضاعف من سرعته ، عندما لمح (ممدوح) قادمًا على الدراجة الأخرى ، حتى بلغ أرضًا فضاء محاطة بسور خشبى قصير .



تمكن القناص بنفس الحركة البهلوانية البارعة ، من القفز بدراجته فوق السور ..

وللمرة الثانية تمكن القناص بنفس الحركة البهلوانية البارعة ، من القفز بدراجته فوق السور ، ليهبط بها داخل الأرض الفضاء مواصلا طريقه .

وأدرك (ممدوح) استحالة مجاراته فى تلك القفزة الانتحارية بتلك الدراجة العادية .. ولا سيما أن ذلك الرجل كان ـ بلاشك ـ أبرع منه فى القيام بتلك القفزات الجنونية ، التى لا شك أنه قد تدرب عليها كثيرا من قبل .

أوقف (ممدوح) الدراجة وتخلى عنها ، وأسرع يتسلق السور .

ولم يكد يقفز إلى الأرض حتى رأى القناص وهو يتأهب للتحليق فى الجو بطائرة (هليكوبتر) ، كانت فى انتظاره داخل الساحة الخالية .. وبينما كانت مروحة الطائرة العمودية (الهليكوبتر) تدور استعدادا للصعود إلى أعلى ،انطلق (ممدوح) يعدو بأقصى سرعته فى اتجاه الطائرة .. ولم يكد القناص يراه مندفعا نحوه حتى أسرع

يصوب إليه رصاصات مسدس لا شك كان بالطائرة .

ولكن (ممدوح) تفادى الرصاصات بالجرى بطريقة حلزونية .

وأخيرا رأى القناص أنه من الأفضل أن يصرف همه إلى التحليق بالطائرة ، اعتماذا على أن (ممدوح) لا طاقة له باللحاق به .

وبالفعل شرعت الطائرة تحلق فى الجوّ .. فى حين كان (ممدوح) قد استحال إلى أحد أبطال المسافات الطويلة فى العَدْو ، حتى أمكنه أن يصل إليها فى أثناء تحليقها ، ويتعلق بقاعدتها فى قفزة سريعة .

وارتفعت الطائرة متجهة نحو أحد الأنهار ، فى حين كان (ممدوح) يتأرجح فى الهواء محاولا الصعود إلى داخلها .

وأخذ القناص يضرب بقدميه بكل عنف وقوة يدى (ممدوح) المتشبثين بقاعدة الطائرة ، محاولاً إلقاءه من أعلى .

واستماتت (ممدوح) فى التشبث بالطائرة برغم آلام الضرب العنيف .. ولكن لم تلبث قواه أن بدأت تخور ، وقد تسلخت أصابعه ،وأصابتها الجروح والكدمات من جراء الضربات العنيفة التى كالها له القناص .

وشعر أن يديه ما عادتا قادرتين على حمله ، فأفلتت أصابعه من قاعدة الطائرة ليهوى من حالق إلى أسفل ، ويرتطم جسمه بمياه النهر ، ويغوص فى أعماقه ..

والتقطت أذناه فى أثناء سقوطه صوت ضحكات القناص الساخرة .

وبرغم الآلام والتسلخات فى يديه وأصابعه .. راح (ممدوح) يسبح فى النهر ، محاولا الوصول إلى الشاطئ وهو يشاهد الطائرة تتجه نحو إحدى الجزر البعيدة .

* * *

٥ ـ رأس الذئب ..

فى مقر إدارة شرطة العاصمة ، اجتمع المقدم (ممدوح) ـ الذى اختفت أصابعه تحت الضمادات ـ مع مدير الأمن العام لـ (أنديستان) ليقرروا الخطوات التالية ، سعيًا وراء القبض على القناص ، بعد نجاحه فى الإفلات إلى إحدى الجزر النائية ، وفشله فى محاولته قتل السفير ، وتدمير السفارة المصرية .

قال مدير الأمن العام :

ـ إن المعلومات التى توصلنا إليها تؤكد أن القناص قد هرب إلى جزيرة (رأس الذئب) ، وهذه ليست هى المرة الأولى التى يلجأ فيها إلى هذه الجزيرة ؛ فنحن نعلم أن له مقرا دائما هناك ..

ممدوح :

ـ إذن لماذا لم تحاولوا القبض عليه فى المرات السابقة ،

ما دمتم تعرفون أنه يتخذ من هذه الجزيرة وكرًا له ؟

مدير الشرطة :

ـ فى الواقع لقد حاولنا أكثر من مرة اصطياده فى أثناء دخوله أو خروجه منها ، ولكن مع الأسف استطاع أن يفلت منا فى كل محاولة .

ممدوح :

ـ إذن لماذا لم تهاجموا الجزيرة نفسها لتقبضوا عليه هناك ؟

مدير الشرطة :

ـ يبدو أنك لا تعرف شيئا عن هذه الجزيرة .. فجزيرة (رأس الذئب) تضم طائفتين من البشر : الأولى مجموعة من القرويين البسطاء ، والطائفة الثانية تمثل أنواعا مختلفة من القتلة والمجرمين الذين يتخذون من هذه الجزيرة وكرًا لهم .

فطبيعة الجزيرة وصعوبة تضاريسها ،وكثافة أشجارها جعلت منها ملاذا مثاليا لهؤلاء الخارجين على القانون .

لذا فشلت حملات سابقة لتطهير الجزيرة .. نظرًا لما تمثله جغرافيتها من عوائق مانعة ، تحول بيننا وبين مطاردة الأشرار الذين يستوطنونها .

وكذلك فإن وجود أولئك القرويين الذين يعيشون على أرض الجزيرة كان يشكل أمامنا حائلا آخر دون توسيع نطاق هذه الحملات ، واستخدام أنواع من الأسلحة والمعدات أكثر فاعلية .

ممدوح :

ـ حسنا .. إننى سأمضى إلى هذه الجزيرة لإتمام مهمتى ، والقبض على ذلك القاتل .. ولكننى سأكون بحاجة إلى مرشدين يرشدوننى إلى خبايا هذه الجزيرة .

مدير الشرطة :

ـ إنك تضعنى فى موقف صعب يا سيادة المقدم .. فأنا من جهة لدى أوامر بتسهيل مهمتك وفقا للمعاهدة الأمنية القائمة بين بلدينا .. كما أن ذلك القناص يأتى على رأس قائمة المجرمين المكلف أنا شخصيا وضع نهاية لإرهابهم الدموى .

ومن جهة أخرى فأنا لا أستطيع المخاطرة بإرسال عدد من الجنود والضباط لمصاحبتك إلى هذه الجزيرة .. لمعرفتى المسبقة بفشل هذه الحملة ، وبما قد تؤدى إليه من مخاطر ، تضاف إلى رصيد حملاتنا الفاشلة السابقة .

إن لدينا خطة شاملة معتمدة من وزير الداخلية حيال هذه الجزيرة ؛ وهى تقضى بترحيل الفلاحين المقيمين بها إلى إحدى المناطق المستصلحة لـ(أنديستان) .

ويتم ذلك على مراحل حتى ننتهى من إجلائهم تمامًا عن الجزيرة ، لنتفرغ بعد ذلك إلى طائفة الخارجين على القانون .. حيث نعد حملة ضخمة تشترك فيها قوات من الجيش والشرطة وطائرات الهليكوبتر والزوارق البحرية .. لحرق الأشجار ، وإبادتها ، ومطاردة هؤلاء المجرمين حتى نقضى عليهم ، وإذا لم يفلح القناص فى الإفلات من الحصار الذى سنفرضه على الجزيرة فسوف يكون ـ ولا ريب ـ من بين هؤلاء المجرمين الذين سيتم تصفيتهم .

ممدوح :

ــ ومتى تبدءُون فى تنفيذ هذه الخطة ؟

مدير الشرطة :

ــ لقد بدأناها بالفعل ، ولكنها ستستغرق عدة شهور ، حتى يتم إجلاء القرويين من الجزيرة .

ممدوح :

ــ عدة شهور !! وهل تضمن ألا يقوم القناص خلال تلك الشهور بممارسة عمليات قتل جديدة ، واغتيال العديد من الأبرياء ؟

مدير الشرطة :

ــ لقد أخبرتك أنه سيكون هناك حصار قوى على مداخل الجزيرة ومخارجها جميعا ..

ممدوح :

ــ معذرة يا سيدى ، ولكنك اعترفت منذ قليل بأنه قد نجح فى الهروب من الجزيرة فى المرات السابقة ، برغم الحصار الذى فرضتموه عليها .

مدير الشرطة :

ــ لا أعتقد أنه سيفلح فى ذلك هذه المرة .. وعلى العموم فأنا لا أستطيع الإقدام على أى تصرف قبل البدء فى تنفيذ خطتنا الشاملة .

ممدوح :

ــ ولكننى مكلف يا سيدى وضع نهاية لهذا القناص خلال أسبوع على الأكثر ، وأرجو منك أن تساعدنى فى إتمام مهمتى .

مدير الشرطة :

ــ فى هذه الحالة سأسهل لك الذهاب إلى الجزيرة ، مع تزويدك بكل ما تحتاج إليه .. ولكنك ستذهب بمفردك ، وعلى مسئوليتك الشخصية .

ممدوح :

ــ وأنا أوافق .

مدير الشرطة :

ــ ولكننى أحذرك للمرة الأخيرة .. فقد تجد

الذهاب سهلا ، ولكن العودة تبدو شبه مستحيلة .

ممدوح :

ـ سأعود بإذن الله .. ولكن بعد أن أكون قد وضعت نهاية لهذا القاتل .

* * *



٦ ـ قاطع الطريق ..

كان (ممدوح) وبصحبته الكولونيل (هوبز) نائب مدير الأمن بالعاصمة ، يبحران فوق متن أحد الزوارق التابعة للشرطة البحرية بـ (أنديستان) فى طريقهما إلى شاطئ جزيرة (رأس الذئب) .

وقبل رَسُوَ الزورق على الشاطئ قال له الكولونيل (هوبز) :

ـ برغم اختلافى معك فى إصرارك على القيام بهذه المخاطرة غير المأمونة العواقب ، إلا أننى أتمنى لك التوفيق من كل قلبى .. وأعدك بأننا سنظل فى انتظار عودتك بالقرب من سواحل الجزيرة خلال الأيام الستة القادمة .. وإن كنا لن نستطيع تجاوز الساحل طبقا للأوامر الصادرة لنا .

وشكره (ممدوح) قائلا :

ـ إننى أقدر مدى ضرورة الالتزام بإطاعة الأوامر ، وبالخطط الاستراتيجية للأمن ، وأعدك بأننى سأحاول تخفيف بعض العبء عنكم ، بتخليصكم من أعتى مجرمى هذه الجزيرة .

ثم هبط إلى الشاطئ حاملا حقيبة معداته خلف ظهره ، مستعينا بخريطة قديمة لإرشاده إلى حيث توجد بعض القرى الصغيرة ، المتناثرة فى أرجاء الجزيرة .

وبعد مسيرة ساعة كاملة وسط بعض التلال الصخرية وصل (ممدوح) إلى قمة أحد هذه التلال ، حيث رأى من خلال المنظار المقرب قرية صغيرة ، محاطة ببعض المساحات الزراعية المحدودة ، التى تنتشر أسفل التلال .

وانحدر (ممدوح) هابطا التل ليخترق حقول الذرة الخضراء ، فى طريقه إلى القرية ، فدخلها ساعة الغروب .

وفيما هو يسير مخترقا أحد الطرق الضيقة بالقرية

التقى بفتى صغير ، يحمل فى يمناه سلة كبيرة فارغة من البوص ، فى حين كانت يسراه تداعب قطعة معدنية من النقود ، وعلى محياه بدت أمارات المرح والسعادة .

استوقفه (ممدوح) قائلا له :

ـ أأنت من أهل هذه القرية أيها الشاب الصغير ؟

أجاب الفتى :

ـ نعم يا سيدى .

ممدوح :

ـ حسنا .. أيمكنك أن ترشدنى إلى الطريق المفضى إلى أحراش (جورجو) ؟.

الفتى :

ـ أحراش (جورجو)!! لكن هذه الأحراش خطيرة للغاية يا سيدى ، إنها تمتلئ بالقتلة والمجرمين .. وأنت لا تبدو واحدا منهم ، فلماذا تذهب إلى هذا المكان ؟!

ابتسم (ممدوح) قائلا :

ـ سأكون ممتنا لك لو أرشدتنى إلى الطريق المؤدى

إلى هناك دون أن تطرح أسئلة .

وهزّ الفتى كتفيه وهو يشير له قائلا :

ــ حسنًا .. إنها تقع شمالىّ القرية بعد هذا الطريق الترابى الممتد أمامك ، وسوف تصل إليها بعد حوالى ساعتين تقريبا .

قال (ممدوح) :

ــ شكرا لك إنك تبدو فتى طيبًا .

الفتى :

ــ اسمى (تومى) .. ولكن ألا ترى أنه من الأفضل لو بتّ ليلتك فى القرية ، لتذهب إلى هناك صباحًا ؟

فالليل قد أسدل أستاره ، والمكان هناك يكون أكثر خطورة فى أثناء الليل .

ممدوح :

ــ أفضل الذهاب الآن .. وداعا يا (تومى) .

وودعه الفتى قائلا :

ــ حفظك الله يا سيدى .

وواصل الفتى طريقه وهو يلهو بالقطعة المعدنية ويقذفها إلى أعلى ، محتضنًا السلة بين ذراعه الأخرى .

وفجأة اعترض سبيله رجل ضخم الجثة ، والتقط منه قطعة النقود قائلا له :

ــ إذن فقد أوصلت الثمار لمنزل السيدة (كاترين) دون أن تدفع لى رسم المرور .

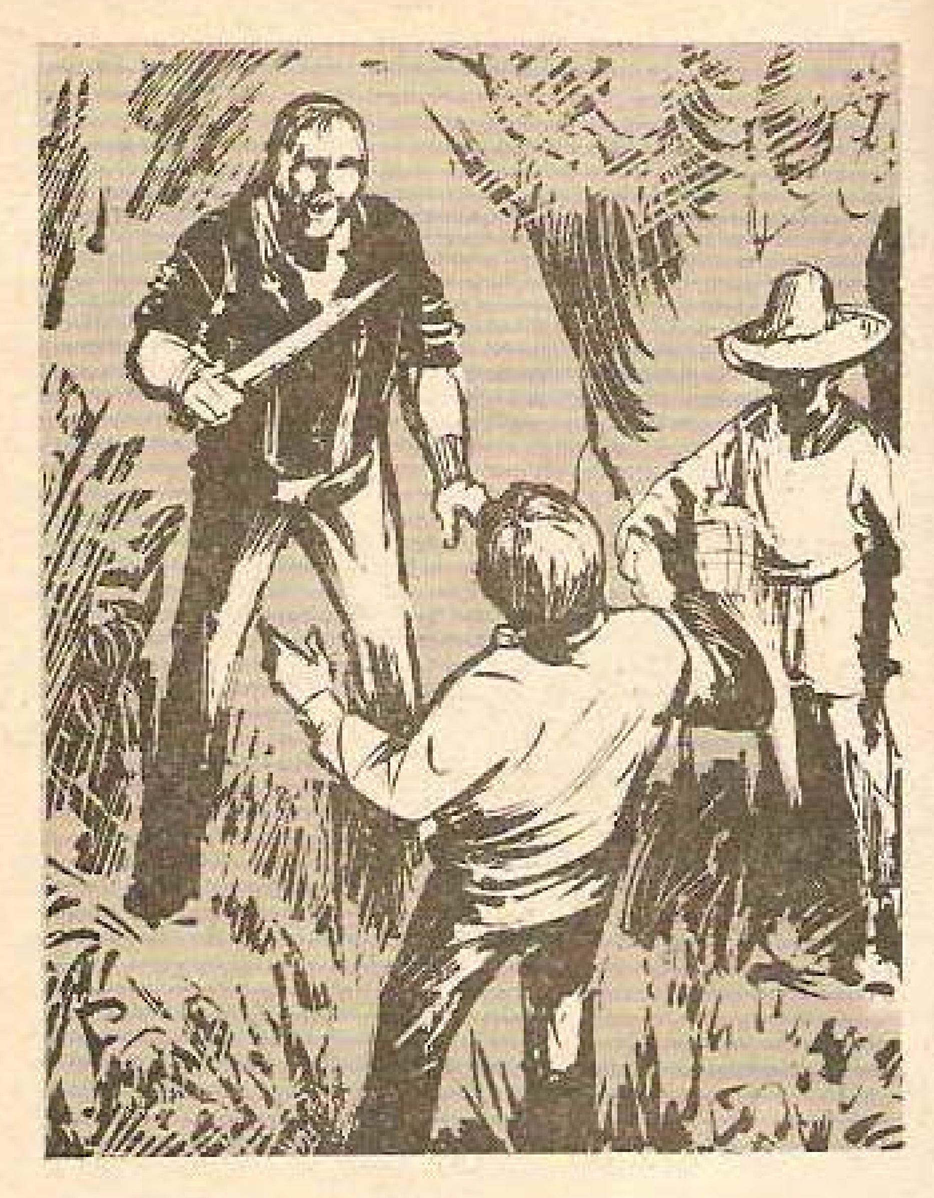
تومى :

ــ ولكننى دفعت لك أمس .. وهذه النقود سأشترى بها طعاما لأبى المريض .. أرجوك أعِدْها لى .

ودفعه الرجل دفعة قوية ، ملقيًا إياه إلى الأرض قائلاً :

ــ إننى أسمح لك بالمضى إلى المزرعة ، والمرور فى هذا الطريق لتوصيل الثمار إلى السيدة (كاترين) لقاء قطعة واحدة يوميا .. ومع ذلك فأنت تحاول أن تخدعنى أيها الوغد .

حسنا .. من غد سيتضاعف رسم المرور ليصبح قطعتين كاملتين من النقود .



وتقدم (ممدوح) نحوه بثبات .. ولكنه لم يكد يقترب حتى شهر الرجل فى وجهه سكينا حادا طويلا ..

وبكى الفتى وهو يجلس على الأرض قائلا :

ــ ولكن ماذا يبقى لى بعد ذلك ؟ وكيف أعيش أنا وأبى المريض ؟

وقبل أن ينطق الرجل الضخم بكلمة سمع صوتا يأتيه من خلف يقول :

ــ أعد قطعة النقود إلى الفتى .

واستدار الرجل متطلعا فى دهشة إلى صاحب الصوت .. فأبصر (ممدوح) واقفا خلفه على مسافة قريبة منه .

قال له الرجل بغلظة ، وعلى وجهه علامات التحدى :

ــ حاول أن تأتى لتأخذها .

وتقدم (ممدوح) نحوه بثبات .. ولكنه لم يكد يقترب حتى شهر الرجل فى وجهه سكينا حادا طويلا وهو يقول :

ــ سترى الآن أنه ليس هناك من يستطيع تحدى

(دومينو) ، ويبقى على قيد الحياة .

وأخذ يدور حول (ممدوح) وهو يلوِّح بالسكين فى وجهه ، فى حين ظلَّت عينا (ممدوح) مركزتين على حركة السكين .

وفجأة قفز (ممدوح) عاليًا ، ليوجِّه له ضربة قوية بقدمه من ضربات الكاراتيه التى يتقنها .

كانت الضربة عنيفة ومفاجئة ، أخلَّتْ بتوازن الرجل ، وجعلته يترنح وهو يتراجع إلى الخلف .

ولاحقه (ممدوح) بضربة ثانية وثالثة ، ثم بلكمة عنيفة طرحته أرضا ليسقط والسكين إلى جواره .

والتقط (ممدوح) السكين فى حركة سريعة ليشهرها فى وجه الرجل الضخم ، الذى نظر لسن السكين الحاد فى رعب .. و (ممدوح) يقول له :

ـ من السهل أن تشهر مثل هذه السكين ، لكن من الصعب استخدامه مع شخص مثلى .

ألا تخجل من نفسك ؟ رجل فى مثل حجمك

يعتدى على الفتية الصغار ، ويغتصب نقودهم ؟

أعد قطعة النقود للفتى وإلا لقَّنتك درسًا فى استخدام هذا السكين ، تظل آثاره باقية فى جسدك باق عمرك ..

وأخرج الرجل القطعة النقدية صاغرًا ليلقى بها على الأرض .

فأشار (ممدوح) إلى الفتى قائلا :

ـ تقدم يا (تومى) ، وخذ نقودك .

وتقدَّم الفتى وهو لا يكاد يصدق ليلتقط القطعة النقدية من الأرض .

أما (ممدوح) فقد قال للرجل :

ـ والآن .. ارحل من هنا ، وحاول أن تبحث لنفسك عن عمل آخر بدلا من سرقة الصغار .

وتناهض الرجل من سقطته ليبتعد عن المكان ، وهو يصيح بغيظ ، ويلوِّح بيده قائلا :

ـ سنلتقى مرة أخرى .. ويومها سوف تندم ؛ لأنك

حاولت القيام بدور البطل معى .

وتقدم الفتى من (ممدوح) وعلى وجهه أمارات الامتنان قائلا :

— أشكرك يا سيدى .. إنهم فى القرية لا يصدقون أن هناك من يستطيع التغلب على (دومينو) .. إنه أحد قطاع الطرق النازحين من أحراش (جورجو) التى تنوى الذهاب إليها .. لقد جاء ليثير الرعب هو ورفاقه فى المنطقة .. إنهم يفرضون الإتاوات على المزارعين الفقراء ، الذين يخشون بطشهم .. لكن لماذا عدت يا سيدى ؟ ترى هل غيرت رأيك ؟

ابتسم (ممدوح) قائلا :

— كلا .. ولكننى رأيت أنه ربما تكون فكرتك صائبة ، وأنه من الأفضل أن أقضى ليلتى فى القرية ، خاصة وأننى أحتاج إلى مرشد ليقودنى فى هذه الأحراش الوعرة .. وأحسب أننى لن أجده إلا فى الصباح .

الفتى :

— حسنا .. ستأتى لقضاء ليلتك فى منزلنا .. إن أبى سيكون سعيدًا للغاية عندما يتعرف عليك .

وأمسك (تومى) بيد (ممدوح) يصحبه إلى المنزل .





٧ ــ رحلة المخاطر ..

كان المنزل لا يختلف فى مظهره العام عن بيوت الفلاحين البسطاء فى ريف مصر .

فقد كان مؤلفًا من دورين فقط ، ومشيدًا من الطين والحجارة .

وأدخل (تومى)(ممدوح)إلى ردهة المنزل قائلا له :

ــ هل تسمح بالانتظار قليلا حتى أخبر أبى ؟

واختار (ممدوح) أحد المقاعد الصغيرة المصنوعة من جذوع الأشجار ليجلس عليها فى انتظار الفتى ووالده .

وبعد قليل أقبل (تومى) ومعه رجل كبير طاعن فى السن ، قدّمه إلى (ممدوح) قائلا له :

ــ هاهو ذايا أبى السيد الشجاع الذى أخبرتك عنه .

وصافح الرجل (ممدوح) بحرارة قائلا له :

ــ إننى لا أعرف كيف أشكرك يا سيّدى ، على ما أبديته من مروءة وشجاعة فى إنقاذ ابنى من ذلك الشرير .

وشعر (ممدوح) بالخجل من ذلك الإطراء ، فقال للشيخ الكبير :

ــ إن أى شخص مكانى لم يكن ليتباطأ عن القيام بما فعلته .

وتنهد الرجل وهو يدعو (ممدوح) إلى الجلوس ، فى حين أسرع الفتى لمساعدة والده على الجلوس فوق أحد المقاعد الأخرى ، ثم تابع الشيخ حديثه :

ــ فى الواقع يا سيّدى إنّ الكثيرين يتخاذلون عن القيام بما فعلته .

فالخوف أصبح يسيطر على هذه القرية وغيرها من القرى الأخرى ، المتناثرة فى أنحاء الجزيرة .

و (دومينو) وأمثاله يستغلون هذا الخوف فى البطش والإرهاب ، وممارسة أعمال البلطجة على الفلاحين الفقراء .

ممدوح :

— ولِمَ لا يحاول الفلاحون هنا التصدّى لـ (دومينو) وأمثاله ؟

الشيخ :

— سيّدى .. إن الفلاحين هنا مسالمون بطبيعتهم ، واهتماماتهم تنحصر فى زراعة أراضيهم الصغيرة فهى كل حياتهم .

لقد كانت هذه الجزيرة جنة فى الماضى ، ولكنها منذ أن أصبحت مأوى لهؤلاء المجرمين والخارجين على القانون ، والحياة بها لم تعد تطاق ، إنهم يغيرون على القرى من آن لآخر لنهب ديار الفلاحين البسطاء ، وفرض الإتاوات عليهم ، ولم يسلم أحد من بطشهم ، حتى بتنا لا نأمنَ على أنفسنا وأموالنا وأراضينا .

ممدوح :

— ولكننى سمعت أنّ الحكومة هنا سوف تقوم بنقلكم إلى أراض جديدة خصبة ، وقد أعدت مشروعا بذلك لإنشاء قرى نموذجية .

الشيخ :

— نعم .. ولكننى كنت أفضل البقاء فى هذه الجزيرة بالرغم من كل شىء ، فالفلاح هنا يعتبر الأرض ابنا من أبنائه ، ومن الصعب أن تقنع إنسانا بأن يتخلى عن ابن من أبنائه ، أو يستبدل به غيره مهما كان .

لقد كان من واجب الحكومة بدلا من ذلك أن تقوم بمحاولة جادة لاقتلاع هؤلاء الأشقياء من جزيرتنا ، ولكنها تقاعست عن ذلك سنوات وسنوات ، حتى استفحل خطرهم ، وزاد عددهم ، وأصبح التخلص منهم أمرًا فى غاية الصعوبة .

وكتم (ممدوح) عن الشيخ تفاصيل الخطة التى أعدتها جهات الأمن للقضاء على مجرمى الجزيرة ، والتى تعد عملية ترحيل الفلاحين جزءا منها .. فقد كانت هذه الخطة سرية ، وقد وعد بالحفاظ على سريتها .

وسأله الشيخ قائلا :

— لقد أخبرنى (تومى) أنك فى طريقك إلى أحراش

(جورجو) .. فما ذهابك إلى هـذا المكان الملىء بالأخطار ؟

ممدوح :

ــ إننى أسعى وراء رجل يدعى القناص ، وقد حضرت من مصر خصيصا من أجل القبض عليه ، بعد أن قتل عددا من دبلوماسيينا فى الخارج ، وأصبح مصدرا للإرهاب بالنسبة للآخرين .

وصاح الشيخ فى فزع ودهشة :

ــ القناص !! ولكننى سمعت قصصًا كثيرة عن هذا الرجل .. إنه خطر للغاية ، بل يقال : إنه من أعتى مجرمى هذه الجزيرة ، وإن لديه طرقًا مختلفة للقتل .

وصاح (تومى) وفى عينيه بريق إعجاب قائلا :

ــ إذن فأنت من رجال الشرطة .. لقد كنت أشعر بذلك .

قال الرجل الكبير لـ (ممدوح) وهو يربت على كتفه :

ــ إن ذهابك وحدك إلى هناك أمر فى غاية الخطورة يا بنى ، فأنت تحتاج إلى فرقة كاملة لمساندتك على اجتياز هذه الأدغال الوعرة ، ومطاردة ذلك القاتل الرهيب .

ممدوح :

ــ إن كل ما أحتاج إليه هو مرشد أو اثنان يرشداننى إلى وكر ذلك القاتل ، فقد عرفت أنه مشهور فى هذه الجزيرة .

الشيخ :

ــ إنه يتنقل عادة بين عدة أماكن فى تلك الأحراش .. ولكنك مع الأسف لن تجد شخصًا واحدًا من أهالى القرية يجرؤ على الذهاب معك إلى تلك الأحراش .. فالجميع هنا يخشون المضى إلى هناك .

تومى :

ــ لقد سمعت بعض رجال (دومينو) يقولون : إنه قد أصبح يقيم فى أحد الأكواخ ، التى تطل على

المستقعات ، وأنه قد قتل ثلاثة من المجرمين الذين حاولوا التعرض له هناك .

ممدوح :

ـ وأين هذه المستقعات ؟

الشيخ :

ـ إنها عند نهاية الأحراش ، بالقرب من تكوين صخرى مرتفع يشبه (رأس الذئب) ، وهو الذى سميت الجزيرة باسمه .

ممدوح :

ـ إذن سأجرِّب حظى فى الذهاب وحدى إلى هناك .

الشيخ :

ـ أرجو أن تحاول العدول عن هذه المخاطرة الجسيمة يا بنى .

ممدوح :

ـ لقد مضى أوان التراجع .

الشيخ :

ـ لكن ما دامت هذه إرادتك .. وسوف أصلى ليحفظك الله .. والآن أعِدّ لنا بعض الطعام يا (تومى) .. وجهز لضيفنا مكانا للنوم حتى يبدأ رحلته فى الصباح .

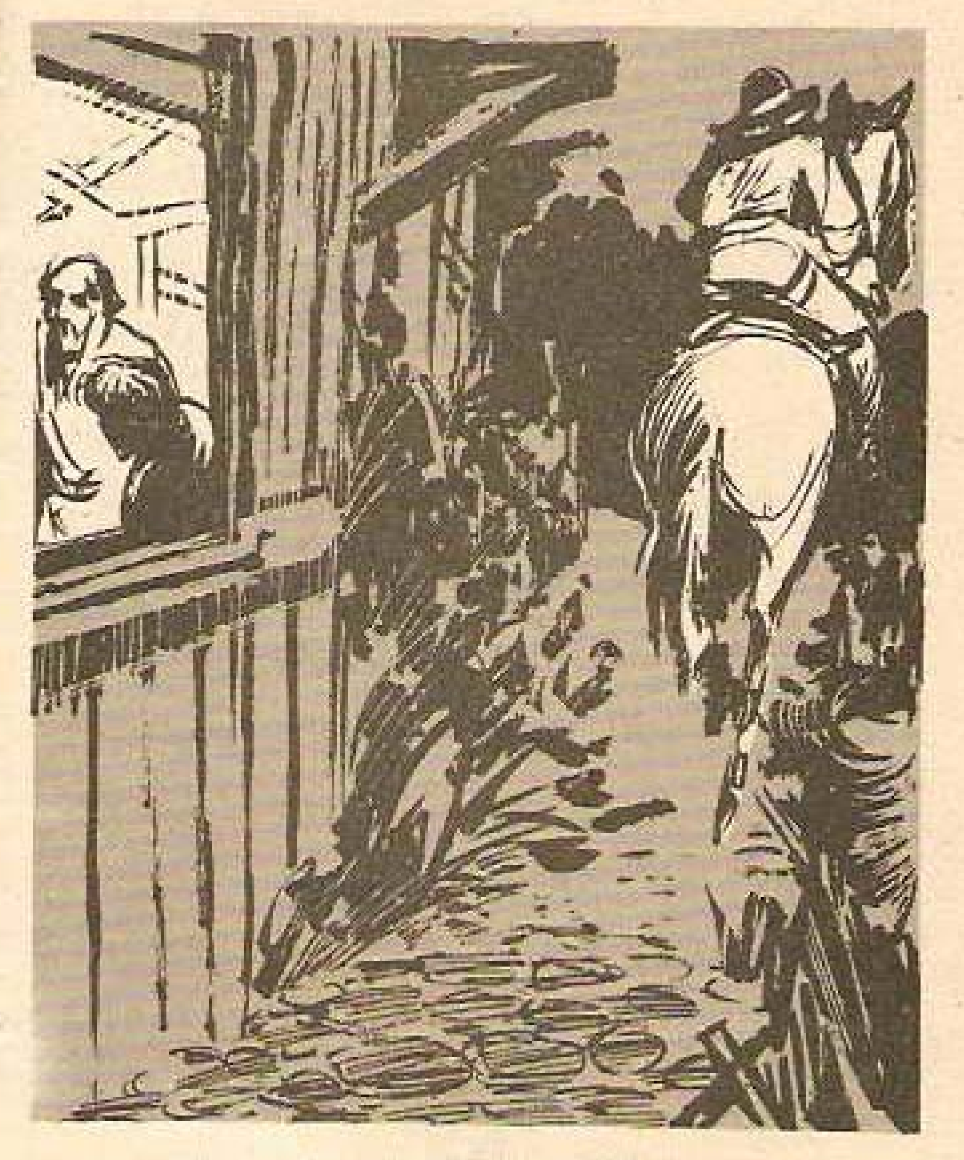
تومى :

ـ حالا يا أبى .

ولم يفطن أحدهم إلى أن هناك من كان يسترق السمع من خلف النافذة ، وأنه قد أسرع بعد ذلك الحديث ليركب جواده متجها نحو الأحراش .

* * *





ولم يفطن أحدهم إلى أن هناك من كان يسترق السـمع من خلف النافـذة ..

٨ ــ لحظات المـوت ..

استأنف (ممدوح) رحلته وسط أحراش (جورجو) فى طريقه بحثًا عن القناص .

ولم تكن الجزيرة برغم أحراشها الكثيفة تتميز بالحيوانات المتوحشة ، وإن كانت تمتلئ بأنواع شتى من الزواحف السامة .

وبعد مسيرة نصف ساعة وسط الأشجار الكثيفة المتشابكة الفروع ، والتى كان يتخلص منها (ممدوح) باستعمال سكين طويل حاد معد لذلك ، اختار الجلوس تحت إحدى الأشجار لتناول بعض الطعام الذى أحضره معه .

كان يعلم أن طعامه معرض للنفاد ، وأنه قد يضطر للاعتماد على ثمار جوز الهند ، التى تكثر أشجارها بالجزيرة .

وفجأة، وفيما كان يتناول طعامه ، أحس بالأشجار الكثيفة، تهتز حوله ، ليجد نفسه محاطًا بثلة من الرجال المسلحين ، الذين تبدو عليهم ملامح الشراسة والإجرام ، وقد توسطهم قاطع الطريق (دومينو) نفسه .

أطلق (دومينو) ضحكة ساخرة وهو يقول :

ــ مرحبا بالبطل المغوار ، ألم أقل لك : إننا سنتقابل ثانية ؟

وهمّ (ممدوح) أن يلمس مسدسه ، ولكنه كف حينما فوجئ بطلقة سريعة تمرق بالقرب من يده ، وتكاد تصيبها .

وصوب باقى الرجال أسلحتهم نحو (ممدوح) متأهبين .. ولكن (دومينو) أشار لهم بالتوقف قائلا :

ــ لا .. إن قتله بهذه الطريقة السريعة سيريحه ، ويفقدنا متعة التسلية .. إننى أفضل أن يموت ميتة بطيئة ، حتى يعرف كيف يكون انتقام (دومينو) ممن يجسر على تحدّيه .

ثم اقترب من (ممدوح) لينتزع مسدسه قائلا له :

ــ إنك لن تستطيع أن تلعب دور البطولة هذه المرة .

قال له (ممدوح) وعلى وجهه علامات الاحتقار :

ــ لقد واجهتك من قبل رجلا لرجل ، وأنت أجبن من أن تكرر المحاولة مرة أخرى ؛ لأنك تعرف أنك لا تساوى شيئا بدون هؤلاء الأوغاد المحيطين بك .

وانتفض (دومينو) من الغيظ ، فوجّه لكمة قوية ل (ممدوح) ، قائلاً لرجاله بحدّة :

ــ أوثقوا هذا الحقير .

نشط المجرمون فى تقييد (ممدوح) بالحبال .. وأخذوا يدفعونه أمامهم حتى بلغوا به سهلا منبسطًا ، حيث كانت هناك بعض الجياد فى انتظارهم .

واعتلى (دومينو) ظهر أحدها ، بعد أن ربط به الحبل الذى يقيد يدى (ممدوح) .

وأخذ يجرى بالجواد بسرعة وهو يدور به حول



و (ممدوح) يعدو خلف الجواد موثق اليدين .
حتى سقط على الأرض والجواد لم يزل يجره خلفه ..

السهل المنبسط ، و (ممدوح) يعدو خلف الجواد موثق اليدين ، حتى سقط على الأرض والجواد لم يزل يجره خلفه .

وكان الرجال يضحكون بوحشية فيما كانت ثياب (ممدوح) تتمزق ، وهو يسحب سحبًا خلف الجواد المسرع ، وبدأ يشعر بآلام مبرحة ، وقد تسلّخ جسده ، وسالت منه الدماء .

وكان (دومينو) يشعر بمتعة كلما التفت خلفه ، ورأى ملامح الألم ترتسم على وجه (ممدوح) ، فيزيد من سرعة الجواد ، حتى أصبحت آلامه لا تطاق ، وشعر بأنه لن يلبث حتى يغمى عليه ..

عندما أفاق (ممدوح) من إغمائه وجد نفسه مقيدًا فى أحد جذوع الأشجار ، وقد تمزقت ثيابه ، وامتلأ جسده بالجروح والتسلخات ، فى حين جلس المجرمون على مقربة منه وهم يولونه ظهورهم ، وقد استوقدوا نارًا تحلّقوا حولها ، وهم يتناولون طعامهم ، ويضحكون بأصوات عالية منفرة .

وفجأة أحس (ممدوح) بخيط رفيع يتدلى فوق رأسه ، وبه أنبوب صغير من البوص .. لا يزيد حجمه على إصبع اليد .

ونظر (ممدوح) إلى أعلى ليجد (تومى) مختبئا بين فروع الأشجار الكثيفة ، وقد وضع إصبعه على فمه محذرًا ومشيرا له بالتزام الصمت .. ثم أخذ يوضح له فى تمثيل صامت كيفية استخدام ذلك الأنبوب الصغير .. فقام بوضع أنبوب مماثل فى فمه ونفخ فيه ، فطار منه سهم صغير فى حجم الإبرة ، سرعان ما غرس فى أحد فروع الأشجار .

وأدرك (ممدوح) مراد الفتى ، فالتقط الأنبوب بأسنانه من الخيط المدلّى وأخفاه داخل فمه .

وهبط الفتى ببطء وسكون ، وأسرع يحاول فك قيود (ممدوح) ، محاذرًا أن يلحظه الرجال المخمورون .

ولكنه أسرع باعتلاء الشجرة من جديد ، عندما رأى أحد المجرمين مقبلا نحو (ممدوح) .

كان الرجل مخمورا ، وقد أمسك فى يده سيخا حديديا متوهجا فى منتصفه قطعة من الشواء ..

اقترب منه الرجل وهو يضحك فى سخرية قائلا له :

ــ إنك لم تتناول شيئا من الطعام .. لذا رأيت أن أنعم عليك بقطعة اللحم هذه .

لكن لكى تتناولها لا بدّ لك أن تبتلع هذا السيخ المتوهج حتى منتصفه ، لكى تصل إليها .

وقرّب الرجل السيخ المتوهج من فم (ممدوح) وهو يتابع :

ــ هيّا .. ألا تريد أن تأكل قطعة اللحم .. هيا تناولها وإلا دفعت بهذا السيخ النارى داخل فمك على الرغم منك ..

وانتظر (ممدوح) حتى أصبح الرجل فى مواجهته تمامًا ، ليبرز الأنبوب الصغير المختفى بين شفتيه .

ثم نفخ فيه بقوة ليندفع منه السهم الصغير مخترقا عين الرجل ، الذى وضع يده على عينه ، وهمّ بإطلاق صرخة مدوية .

لكن (تومى) قفز من بين الأشجار فوق رأسه ، وهو يكتم فمه بيديه ويلقى به أرضًا .

وقبل أن يحاول الرجل الدفاع عن نفسه ، كان (تومى) قد وجّه ضربة قوية إلى رأسه من عصا غليظة كانت معه ، ليفقده وعيه .. ثم أسرع يجره ليخفيه بين الأشجار .

وساعده ارتفاع أصوات الرجال ، وانشغالهم بتناول الطعام ،على أن ينجح فى مباغتة الرجل دون أن يشعروا به .

والتقط الفتى من الأرض السيخ الذى كان لا يزال متوهجًا ، ووضعه فوق الحبال التى قيد بها (ممدوح) فأحرقها .

ولكن يبدو أن (دومينو) قد ساوره القلق لتأخر زميله ، فأخذ يناديه ، ولما لم يجبه نهض من بين رجاله ، واتجه نحو الشجرة التى قيد إليها (ممدوح) ..

وفوجئ بالفتى الصغير ، وكان لم يزل يحاول جاهدًا تخليص (ممدوح) من قيوده .

فأخرج مسدسه متجها نحوهما ، وشرر الغضب يتطاير من عينيه .

ولكن (ممدوح) ــ وكان قد نجح فى التخلص من قيوده ــ أمسك بمقبض السيخ الحديدى الذى ناوله له (تومى) وهو يسرع بالابتعاد ، ليدفعه بقوة نحو (دومينو) فاخترق السيخ الساخن أمعاءه قبل أن يطلق الرصاص .

وسرعان ما سقط (دومينو) على وجهه مطلقًا صرخة مدوية ، فقد برز السيخ من ظهره .

وأفاق الرجال منتبهين على صوت صراخ (دومينو) ، فاستداروا فجأة نحو (ممدوح)،وأسرعوا يصوّبون أسلحتهم نحوه،فى الوقت الذى نجح فيه فى التقاط المسدس،ليبادلهم إطلاق النار محتميًا بجذع الشجرة .

وفجأة فرغت رصاصاته ، فأدرك أنه هالك لا محالة .. لولا أنه لمح (تومى) وهو يدفع إليه بأحد فروع

الأشجار فتعلق به ليندفع بعيدًا ، و (تومى) خلفه ووابل من الطلقات يلاحقهما .

* * *



٩ — هروب بين الأحراش ..

قفز (ممدوح) و (تومى) عبر أحد المرتفعات ، ليبلغا الجهة الأخرى من الأحراش ، ثم أخذا يعدوان بكل ما وسعهما من قوة مبتعدين تماما عن المكان .

وأخيرًا جلس (ممدوح) ليستريح فوق إحدى الصخور ، فى حين حط (تومى) السلة الكبيرة المعلقة خلف ظهره على الأرض ، ليخرج منها بعض الأعشاب التى بللها بالماء .

اقترب من (ممدوح) يمسح بتلك الأعشاب جروحه ، قائلا له :

— إنها أعشاب طبية تفيد فى التئام الجروح .

فنظر إليه (ممدوح) نظرة حانية ، وقال :

— لا أعرف كيف أشكرك يا (تومى) ، فالله

وحده يعلم كيف كانت ستكون نهايتى ، لولا مجيئك فى هذه اللحظة .

قال (تومى) على استحياء :

ــ إننا بذلك نصبح متساويين ، فقد ساعدتنى أولا

ممدوح :

ــ ومع ذلك فإنى أعتب عليك لمجيئك إلى هذه الأحراش الموحشة وحدك،معرضا نفسك لمخاطر عديدة .

تومى :

ــ فليكن هذا سرًا بينى وبينك ، لقد حضرت إلى هذه الأحراش مرات عديدة من قبل للحصول على ثمار جوز الهند دون علم أبى .. لذلك فإننى أعرف دروبها ومجاهلها .

ثم ألم تكن تبحث عن مرشد لك ؟.. لقد قررت أن أكون هذا المرشد .

ولكن (ممدوح) اعترض بشدة قائلا :

ــ لا .. إننى لن أعرّض فتى صغيرًا مثلك لهذه المخاطر .. لقد ساعدتنى بما فيه الكفاية ، وأنا أشكر لك ذلك ، وأريد منك الآن أن تعود إلى والدك قبل أن يشتد قلقه عليك .

تومى :

ــ أولاً : أنا لست صغيرًا؛ فسوف أتم السادسة عشرة بعد عشرين يومًا ، ثانيًا : إننى لا أخاف .. ثالثًا: ألم تسأل نفسك كيف ستتمكن من مطاردة ذلك القناص ، بعد أن جرّدك أولئك اللصوص من الحقيبة الجلدية التى تحتوى على أسلحتك ؟!

ممدوح :

ــ فى الحقيقة ، فاتنى أن أفكر فى ذلك .

تومى :

ــ أما أنا فلم يفتنى ذلك .. وقمت بمغافلة هؤلاء المجرمين ، واسترداد الحقيبة قبل التفكير فى إنقاذك .

ونظر إليه (ممدوح) فى دهشة وإعجاب ..

فى حين اتجه (تومى) نحو السلة الموضوعة على الأرض ليخرج منها حقيبة الأسلحة الخاصة بـ (ممدوح) ، ويسلمها له قائلا :

ـ ها هى ذى حقيبتك .

ونظر (ممدوح) إلى الحقيبة ، وإلى الفتى غير مصدق ، ثم احتضنه قائلا :

ـ إنك بالفعل فتى ذكى مدهش .

تومى :

ـ والآن هل ستجعلنى أصحبك إلى وكر القنّاص ؟

ممدوح :

ـ لا .. عندى لك مهمة أخرى .. ستذهب إلى الجهةالشرقية من الجزيرة ، حيث تجد عددًا من الزوارق المسلحة الراسية على الشاطئ على بعد سبعة كيلومترات من قريتك .

وستطلب منهم مقابلة الكولونيل (هويز) ، لتخبره أن يلتف حول الجزيرة ومعه رجاله إلى الجهة الجنوبية بالقرب

من أحراش (جورجيو) ، ودعه ينتظرنى هناك عند الشاطئ الجنوبى ، فسوف أكون فى حاجة إليه بعد انتهائى من هذه المهمة .

إنك ستكون بذلك قد أسديت لى خدمة عظيمة ، أهم من مساعدتى فى الوصول إلى وكر القنّاص .

تومى :

ـ ولكن هل تعرف الطريق من هنا ؟

ممدوح :

ـ نعم .. وأعتقد أننى قد أصبحت الآن قريبًا جدًا من المكان .

المهم أن تؤدى أنت مهمتك بسرعة ، ولا تضيع الوقت .

وابتسم (تومى) وهو يؤدى التحية العسكرية لـ(ممدوح) ، قائلاً بخبث :

ــ أمرك يا سيدى .

ثم انطلق يعدو ونظرات (ممدوح) تشيعه فى إعجاب .

* * *



١٠ ــ المطاردة الرهيبة ..

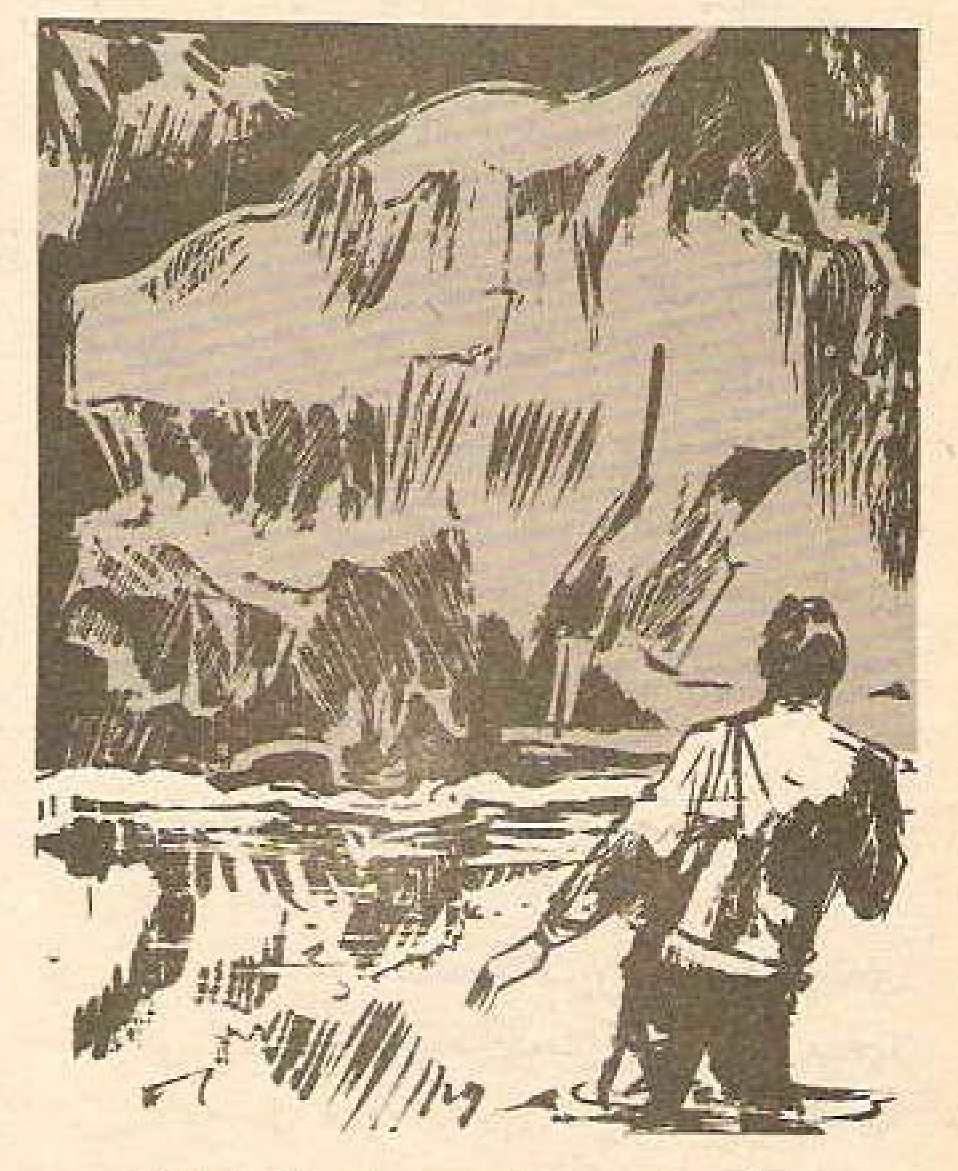
استأنف (ممدوح) رحلته ، حتى بلغ منطقة المستنقعات ، التى رأى فى نهايتها ذلك المرتفع الصخرى المسمى (رأس الذئب) ..

كان حقيقة أشبه برأس الذئب ..

وعبر (ممدوح) المستنقعات التى كانت قليلة الغور، ليصل إلى المرتفعات الصخرية التى يتوسطها مرتفع (رأس الذئب) .

وما أن اعتلى (ممدوح) المرتفع الصخرى حتى نظر من أعلى ، فرأى مجموعة من الأكواخ القديمة .

وأعد (ممدوح) مدفعه الصاروخى الصغير الذى علقه على كتفه ، وبدأ يهبط المنحدر الصخرى ، متجها نحو الأكواخ فى هدوء وحذر .. وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله ، ويشمل المكان عندما شرع (ممدوح) فى



استأنف (ممدوح) رحلته ، حتى بلغ منطقة المستنقعات ،
التى رأى فى نهايتها ذلك المرتفع الصخرى المسمى (رأس الذئب) ..

التسلل إلى تلك الأكواخ القديمة ، التى كان السكون يخيم عليها ، فبدت شبه مهجورة .

وقف (ممدوح) بين هذه الأكواخ متحيرًا .. ترى أيقطنها بعض السكان ؟ أم أنها خالية تماما ؟.. وإذا كان القناص يقيم فى أحدها .. ترى أى من هذه الأكواخ ؟ وهل هو لا يدرى حتى الآن بوجوده ؟ أم أنه يتربص له الآن خلف أحد النوافذ أو الأبواب لكى يقضى عليه ؟

وفجأة سمع (ممدوح) حركة تصدر من خلف أحد أبواب هذه الأكواخ ، فأخذ يتسلل نحوه على أطراف أصابعه .

وعلى ضوء القمر رأى باب الكوخ وهو يهتز ، محدثًا صريرًا خافتا ، وقد لاحت به فرجة صغيرة .

فضغط (ممدوح) على الزر الصغير الذى يضىء الكشاف الكهربائى المثبت بالمدفع الصاروخى .

ثم دفع الباب بكل قوته مصوبًا مدفعه ، ومسلطًا ضوء الكشاف نحو الداخل .

لم ير أحدا خلف الباب .. فأخذ يتقدم إلى الداخل فى حرص شديد .

وفجأة اندفعت أشياء غريبة فى الجوّ وهى تصطدم به ، لتطير إلى الخارج محدثة أصواتًا غريبة .

وفى حركة لا شعورية ، وجد (ممدوح) نفسه يطلق طلقات مدفعه الصاروخية تجاه هذه الأشياء الطائرة التى أفزعته وروعته ..

وعندما أفرخ روعه، تبيّن له أن هذه الأشياء الغريبة لم تكن سوى مجموعة من الخفافيش التى استعمرت هذا الكوخ ، والتى اندفعت إلى الخارج عندما أزعجها ضوء المصباح .

تهالك (ممدوح) وهو يسند ظهره إلى الحائط محدثًا نفسه :

ـ إذن فهذه الأكواخ مهجورة .. فلو كان هناك أحد يسكنها لجذبت أصوات الطلقات انتباهه .

ولو أن هذا الإرهابى القاتل يقطن فى أحدها ، فسوف

يكون ذلك أفضل ؛ لأن المواجهة فى هذه الحالة ستقتصر علينا فقط ، دون وقوع مزيد من الخسائر فى الأرواح .

وفجأة صك سمعه صوت ضحكات ساخرة تجلجل فى سكون الليل .

قال (ممدوح) لنفسه :

ـ لا بدّ أنها ضحكات القنّاص ؛ فهى نفس الضحكات التى سمعتها فى أثناء سقوطى من الطائرة .

وتسلّل (ممدوح) خارجًا من الكوخ،ليبحث عن مصدر هذه الضحكات التى تزايدت شدتها ..

وانتهى إلى أحد الأكواخ المنعزلة التى تحيط بها حشائش مرتفعة ، كان الصوت يصدر من ناحيتها ..

وانقطع الصوت فجأة عندما اقترب (ممدوح) من الحشائش .. وعاد السكون يرين على المكان .

فى حين لاذ (ممدوح) بإحدى الأشجار التى تقع على مسافة بعيدة عن الكوخ وهو يرقبه بحذر ، متشبثًا

بمدفعه فى انتظار الخطوة التالية ..

كان يدرك جيدا أن التقدم نحو الكوخ فى هذه المنطقة المكشوفة سيعرضه حتما للهلاك .

فالكوخ ملىء بالثقوب ، ونوافذه مفتوحة ، وقد أسدلت عليها ستائر قاتمة اللون .. ولا بدّ أن القناص يختفى خلف أحد هذه الثقوب أو الستائر فى انتظار تقدُّمه ، ليوقع به فى الفخ الذى نصبه له .

فكل هذه الضحكات لم تكن سوى شرك ، أراد القاتل أن يجتذبه به نحو ذلك الكوخ لاصطياده فى أرض مكشوفة .. ولكن (ممدوح) لم يكن بالصيد الغرّ الذى يسهل خداعه ، فهو داهية محترف .

وبعد أن طال الانتظار على هذا النحو وكلا الرجلين ينتظر تقدم الآخر ، انفتح باب الكوخ فجأة ليخرج منه رجل يرتدى قبعة وعباءة سوداء .. ليقف أمام الباب ..

صاح (ممدوح) بصوت عالٍ قائلا :

— عليك أن تعرف أننى لم آت إلى هنا لقتلك ، برغم أنك تستحق القتل ، على كل ما اقترفته من جرائم .

بل لكى أقبض عليك ، لتتاح لك فرصة الحصول على محاكمة عادلة .

فلا تدعنى ألجأ إلى العنف .. إننى آمرك بأن تستسلم ، وتلقى سلاحك .. وصدقنى لن يكون أمامك خيار آخر سوى الموت .

وسمع (ممدوح) صوت الرجل يأتيه قائلا :

— وهل تضمن أن تتاح لى محاكمة عادلة حقا ؟

ممدوح :

— أعدك بذلك .

وسادت فترة سكون قصيرة ، ثم عاد الرجل ليقول :

— حسنا .. إننى أستسلم وهذا هو سلاحى .

ورأى (ممدوح) بصعوبة فى هذا الظلام الدامس سلاح الرجل وهو يرتفع فى الهواء ليسقط أمامه على الأرض .

قال له (ممدوح) :

ـ والآن تقدم رافعا يديك إلى أعلى ..

القناص :

ـ إننى لا أستطيع ، فذراعاى وقدماى مصابتان على أثر معركة خضتها مع بعض المجرمين هنا .. عليك أن تأتى بنفسك لتساعدنى .

وشعر (ممدوح) أن فى الأمر خدعة ، فأخذ يتقدم فى حذر وعيناه مسلطتان على الرجل الذى كان يغشاه الظلام .

وقرر أن يفاجئه بتسليط ضوء الكشاف على عينيه مباشرة ، ليجعله هدفا مكشوفا ، ويمنعه من القيام بأية حركة غادرة .. وعندما أصبح (ممدوح) على مسافة قريبة من القناص سلّط كشافه المثبت فوق المدفع ، واضعًا إصبعه على الزناد .

وكانت المفاجأة عندما تبين أن ذلك الرجل الواقف على باب الكوخ ، لم يكن سوى دمية مثبتة فوق عمود

خشبى ، وقد وضع عليها القبعة والعباءة ، لتبدو من بعيد وسط الظلام الدامس .. على هيئة رجل .

وعادت الضحكات العالية تتردّد من جديد ، ثم فوجئ بوابل من الرصاص ينهال فوقه .

فأسرع بإلقاء نفسه على الأرض وسط الحشائش المرتفعة .. وقد أصابت إحدى الطلقات فخذه الأيسر .

وأتاه صوت القناص قائلا :

ـ لقد انطلت عليك الخدعة أيها الغبى ، وجعلت من نفسك هدفا سهلا .

لقد كنت فى انتظارك هنا ، ليقينى بأنك ستأتى إلى هذا المكان ، وأنا يحلو لى دائمًا أن ألعب لعبة القط والفأر مع أمثالك ، ممن يظنون أن لديهم القدرة على تحدّى القناص واصطياده .. أتعرف لماذا يسمُّوننى بالقناص ؟ لأننى أفترس أمثالك من الأغبياء .

ولا يمكن أن يتحول القناص أبدًا إلى فريسة .

* * *

١١ — صراع حتى النهاية ..

كان (ممدوح) فى أثناء ذلك يزحف بين الحشائش ، محاولاً الابتعاد عن الكوخ قدر المستطاع ، برغم الدماء الغزيرة التى كانت تنزف من فخذه .

وإنه لكذلك إذ لمح شيئا يتقذف بجواره .

نظر إلى تلك القذيفة التى كانت على مسافة قريبة منه ليصاب بالفزع .

فقد كان يعرف كنه هذه القذيفة جيدا .. إنها نوع من القنابل الحرارية التى تساعد على الاشتعال ، والتى تنفجر خلال عشرين ثانية من إطلاقها لتشعل النار فى كل ما يحيط بها .

أسرع متحاملا على نفسه ، يزحف بأقصى سرعته بين الحشائش مبتعدا عن المكان .

وقبل أن يصل إلى الأشجار الكثيفة القائمة فى الجهة

المقابلة للكوخ ، انفجرت القنبلة لتدلع النار فى الحشائش فجأة ، وراحت الشرارات النارية تزحف سريعا نحو الأشجار الكثيفة منذرة بحريق هائل .

وعادت الضحكات تتعالى من القناص ، مختلطة بفحيح النيران وهى تأكل الأشجار والحشائش .

وأيقن القناص أن (ممدوح) قد انتهى أمره ، وأن النيران لا بدّ قد التهمته الآن .

فجلس داخل كوخه ليشعل لنفسه سيجارة ، وقد وضع سلاحه أمامه على المنضدة ، لينظفه على ضوء مصباح صغير .

وفجأة سمع حركة آتية من خلفه .. فالتفت بحدة ليجد (ممدوح) واقفا وهو يستند إلى جدار الكوخ مصوبًا مدفعه نحوه .

ابتسم (ممدوح) برغم ألمه قائلا :

— معذرة لأننى خيبت ظنونك .. فلعلك كنت تنتظر حتى ينتهى هذا الحريق ، لترى جثتى وقد تحوّلت إلى كتلة متفحّمة .

ولكنك ارتكبت خطأين جسيمين .. الأول : أنك لم تحاول أن تتبع فريستك ، حتى تتأكد من أنك قد أجهزت عليها تماما .

والثانى : أنك لم تحكم إغلاق نافذة الكوخ الخلفية ، فهيأت لى الفرصة لمفاجأتك .

إن ما فعلته معى ومع الآخرين يعطينى الحق فى أن أفرغ قذائف هذا المدفع فى جسدك .

ومع ذلك فسوف أكون كريما معك حتى النهاية .. انهض من مكانك ، وارفع يديك فوق رأسك ، وتقدمنى إلى الخارج .

وحذار من الخداع ؛ لأننى لن أكون كريما أكثر من ذلك .

وتهيأ القناص للنهوض من مقعده راضخا ، ولكنه دفع المائدة بقدمه فجأة بكل عنف لتسقط على الأرض ، وينطفئ ضوء المصباح ، ليعم الظلام المكان .

أضاء (ممدوح) الكشاف المثبت فى مدفعه ..

ولكنه قبل أن يتبيّن ما حوله ، فوجئ بضربة قوية من المقعد الذى كان القناص يجلس عليه مصوّبة إلى فخذه المصاب .

وصرخ (ممدوح) من شدة الألم ، وهو يضع يده على فخذه الذى ازداد نزف الدماء منه .

فى حين انتهز القناص الفرصة ، وأسرع يقفز من النافذة ليعدو مبتعدًا عن الكوخ .

وبرغم الآلام المبرحة التى شعر بها (ممدوح) ، فقد تحامل على نفسه ، وأخذ يعدو خلفه وهو يجر قدمه جرًا ، مسلطا الكشاف المضاء صوب الجهة التى يجرى نحوها .

شاهد (ممدوح) القناص وهو يتسلق مرتفع (رأس الذئب) متجها نحو المستنقعات ، فأخذ يصوب طلقات مدفعه نحوه .

ولكن الآلام المضنية بالإضافة إلى سرعة القناص الذى كان يتسلق المرتفع الصخرى فى خفة الفهد ، حالت دون إحكام إصابته .



وفى محاولة أخيرة يائسة ، صوّب (ممدوح) آخر طلقة فى مدفعه نحو غريمه فى أثنـاء صعوده ..

وتهاوى (ممدوح) إلى الأرض ، بعد أن أصبح لا طاقة له على الوقوف على قدميه ، فى الوقت الذى كان فيه خصمه قد نجح فى الوصول إلى قمة المرتفع .

وفى محاولة أخيرة يائسة ، صوَّب (ممدوح) آخر طلقة فى مدفعه نحو غريمه فى أثناء صعوده لتستقر الطلقة فى قدم القناص ، الذى أطلق صرخة عالية من شدة الألم وهو يتردى من فوق قمة المرتفع .

قال (ممدوح) وهو ينظر نحوه بعد أن ألقى بسلاحه بعيدا :

ــ الآن قد أصبحنا متكافئين ..

وفى الوقت الذى كان القناص فيه يحاول أن يجر نفسه بصعوبة ، بعد أن احترقت ساقه من جراء القذيفة الصاروخية ليعاود تسلق المرتفع ، كان (ممدوح) يزحف نحوه بدوره ، وهو يقاوم الآلام الهائلة التى ازدادت ضراوتها ..

واستطاع القناص أن يتسلق المرتفع لينحدر ببطء

نحو المستنقعات يتبعه (ممدوح) ، الذى لم ير أثرًا للقناص عند وصوله إلى المستنقع ، فقدر أنه قد استطاع العبور إلى الجهة المقابلة .

وغاص (ممدوح) بدوره فى المستنقع الطينى الموحل ، فى حين طفت الدماء التى كانت تنزف من فخذه المصاب فوق سطح مياهه الراكدة .

وفيما كان (ممدوح) يتقدم فى المياه الموحلة بصعوبة، سمع حركة غير عادية تأتى من خلفه .

فاستدار بحدة ليرى القناص وقد برز له فجأة من بين الأشجار المحيطة بالمستنقع ، وفى يده بلطة حادة يتأهب لكى يهوى بها على رأسه .

تفادى (ممدوح) الضربة القاتلة فى الوقت المناسب ، فهوت البلطة على سطح الماء تشقه شقا .

ولكن القناص عاود المحاولة وهو يهوى بالبلطة الحادة نحو (ممدوح)، الذى ظل يتراجع إلى الخلف منحرفا

يمينا وشمالاً ، لتفادى تلك الضربات القاتلة .

وأخيرا لم تعد ساقه المصابة تقوى على الاستمرار فى متابعة التراجع إلى الخلف ، فانزلقت فى مياه المستنقع ليسقط على ظهره وجسده يغوص إلى أسفل .. غير أنه عندما وسعه أن يرفع رأسه من الماء ، وجد القناص منتصبا أمامه وعلى وجهه ابتسامة شيطانية ، بعد أن أدرك أن غريمه قد أصبح عاجزا عن المقاومة .

فرفع القناص بلطته عاليا ليهوى بها على رأسه لينهى الأمر كله ..

وبينما كان (ممدوح) يحاول النهوض من سقطته ليتفادى الضربة ، لمست يده قطعة من الحجر المدبب مدفونة فى القاع ، فأمسك بها بكل قوته ، ثم انقلب على وجهه لتفادى البلطة القاتلة ، واعتصر آلامه وهو ينهض واقفا على قدميه مرة أخرى ، ليهوى بكتلة الحجر المدببة فوق رأس القناص قبل أن ينتزع البلطة من الماء .

صرخ القناص من شدة الألم ، وسقطت البلطة من يده .. فى حين ظل (ممدوح) يكيل له الضربات العنيفة حتى سقط غائصًا فى الماء بدوره ، ليسقط (ممدوح) بجواره ، وقد بدأ يفقد وعيه تدريجيا .

ومن خلال الغشاوة التى بدأت تهبط على عينيه — وقبل أن يفقد الوعى تماما — خيل إليه أنه يرى أشباحًا عديدة لمجموعة من الرجال يرتدون الملابس العسكرية ، ومعهم فتى صغير شبيه بـ (تومى) وهم يقتربون من المستنقعات ، ثم لم يلبث أن غاب عن الوعى تمامًا .

* * *



١٢ — فى مستشفى كابيرا ..

عندما أفاق (ممدوح) من غيبوبته ، وجد نفسه ممدًدا على فراش نظيف داخل غرفة أنيقة مسدلة الستائر .

ورأى مدير الأمن العام واقفًا بجواره ، ومعه نائبه ، والفتى الصغير (تومى) .. وقد أحاطوا بسريره .

وارتسمت الابتسامة على وجه مدير الأمن ، وهو يقول لـ (ممدوح) :

— حمدًا لله على سلامتك يا سيد (ممدوح) .

واندهش (ممدوح) قائلا :

— أين أنا ؟ وكيف جئت إلى هنا ؟

مدير الأمن :

— إنك الآن فى مستشفى (كابيرا) بالعاصمة (الأنديستانية) ، وقد حملت إلى هنا بعد قيام الجنود

بانتشالك من المستنقع الذى كدت تهلك فيه أنت وغيرك .

لقد كانت إصابتك بالغة ، والجرح ملوثا تماما من أثر الغوص فى مياه المستنقع القذرة .

ولكن الأطباء أجروا لك جراحة ناجحة ، واستطاعوا إخراج الرصاص من فخذك ، وتطهير الجرح .. وسوف تتمكن من مغادرة المستشفى خلال أيام قليلة .

ممدوح :

ـــ والقناص ؟

مدير الأمن :

ـــ لقد أجريت له بدوره عملية جراحية أخرى .. وبرغم أن إصابته كانت أشد خطورة ، إلا أن الأطباء استطاعوا إنقاذه هو الآخر .

إنك ستجد منازعة شديدة بين عدد من الدول ونحن من بينها ، من أجل الاستئثار بمحاكمة هذا الرجل نظرا

لسجله الحافل ، ومع ذلك فنحن سوف نتنازل عن هذا الحق لدولتكم الصديقة ، لما بذلته من جهد خرافى للقبض عليه .

وسوف يتم نقله معك على نفس الطائرة المتجهة إلى القاهرة مع حراسة مشددة .

فنحن لا يهمنا فى النهاية سوى أن تأخذ العدالة مجراها إزاء هذا الإرهابى .. سواء أكان ذلك فى (أنديستان) أم فى مصر .

ووجه الكولونيل (هوبز) ، الذى أشرف على نقل (ممدوح) إلى المستشفى حديثه للمقدم قائلا ، وهو يضع يده فوق الفتى (تومى) :

ـــ لقد تسبب هذا الفتى الشجاع فى إنقاذك من الموت .

فعندما حضر إلينا لإبلاغنا بضرورة الانتقال إلى الساحل الجنوبى للجزيرة .. أصر على أن يرافقنا .. وعندما رفضنا تسلل إلى أحد الزوارق لنفاجأ به مختبئا داخله .

وحينما بلغنا الشاطئ الجنوبى ، أبدى شجاعة فائقة فى إصراره على الهبوط إلى الجزيرة للبحث عنك .

ورفض كل محاولاتنا لإثنائه عن عزمه قائلا لنا :

ــ إذا كنتم أنتم تخشون الهبوط إلى الجزيرة فهذا شأنكم ، أما أنا فلا أخشى ذلك .. ولكننى لن أتخلى عن صديقى أبدًا .

فشعرت بالخجل أمام شجاعته ، وقررت المخاطرة بنفسى وبرجالى ، وبرتبتى العسكرية ، ومخالفة الأوامر من أجل مشاركته فى البحث عنك .. والحمد لله أن السيد مدير الأمن قد أقرنى على ما فعلت .

وربَّت (ممدوح) على رأس (تومى) وعلى وجهه ابتسامة حانية ، قائلاً للكولونيل (هوبز) :

ــ إنها ليست المرة الأولى التى ينقذ فيها هذا الفتى الشجاع حياتى ، وإذا أردت نصيحتى فاحتفظ له بوظيفة لديك فى المستقبل ، فلن تجد كل يوم فتيانًا شجعانًا مثله .

واستعد الجميع لمغادرة الغرفة .

أما (تومى) فقد همس فى أذن (ممدوح) قائلا :

ــ فى الواقع أننى لست على تلك الدرجة من الشجاعة التى تتصورها ، فأنا الآن أفكر فى تلك (العلقة) التى تنتظرنى من والدى عندما أعود جزاء عصيانى لأوامره والذهاب إلى (جورجو) .

وسمع مدير الأمن كلمات الفتى ، فأمسك بيده قائلا له وهو يسير معه إلى الباب :

ــ دع هذا الأمر لى .. فإننى أعدك بأن أجعله يعفو عنك .

تومى :

ــ حسنا..إننى سأعتمدعليك فى هذا ياسيدى.

ثم أدّى التحية العسكرية لـ (ممدوح) وهو ينصرف ، و (ممدوح) يلوّح له بيده مبتسما .

وبعد قليل دخلت الممرضة لتضع بعض الزهور بجوار فراش (ممدوح) ، ثم قدّمت له مظروفا صغيرا وتقول :

ـ هذه البرقية أرسلت إليك صباح اليوم .

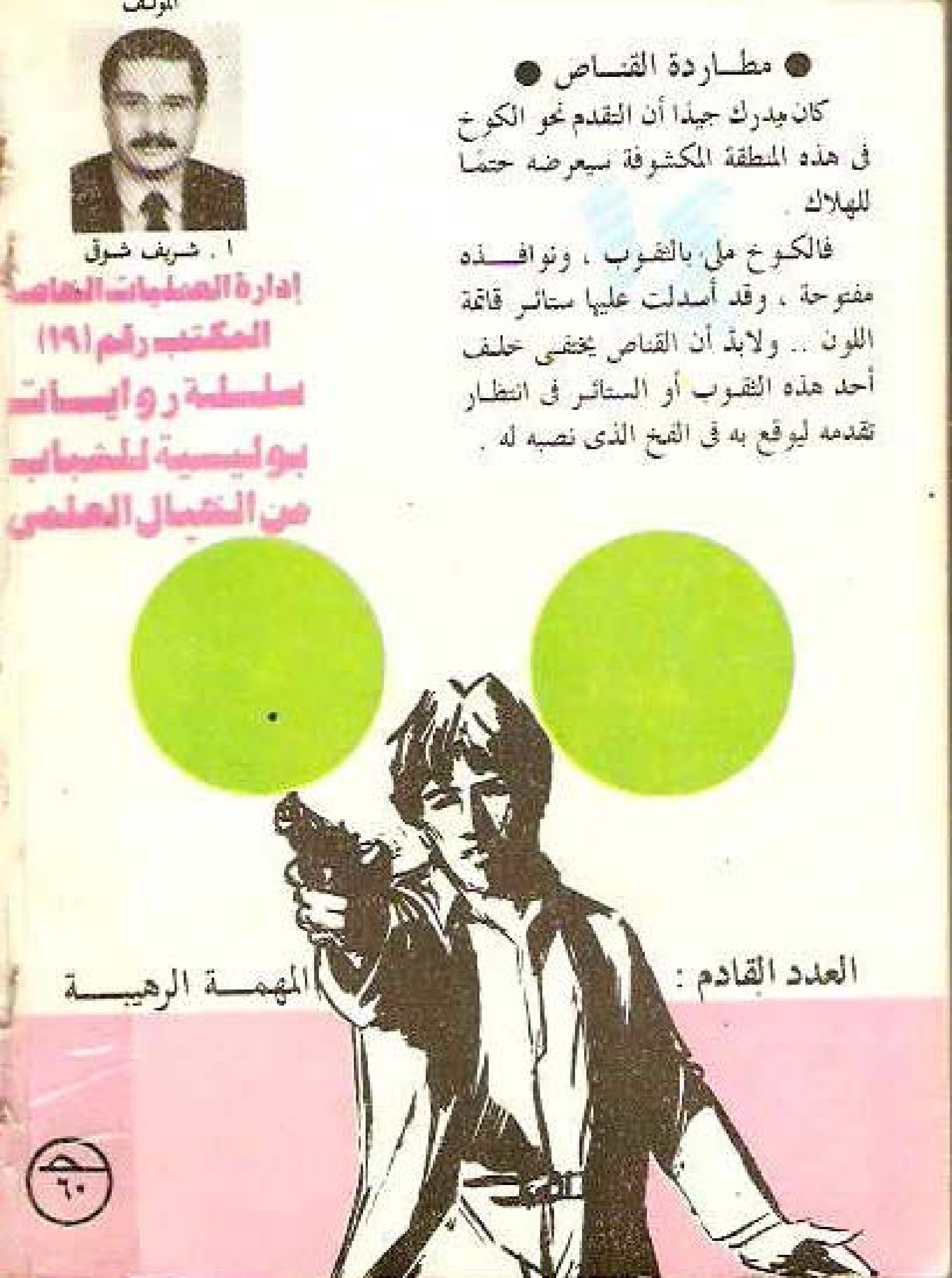
وشكرها (ممدوح) وفض البرقية ، حيث قرأ فيها :

« عزيزى (ممدوح) .. تهانينا القلبية على نجاحك فى مهمتك الخطيرة ، نرجو لك سرعة الشفاء .. نحن فى انتظار عودتك إلى أرض الوطن » .

(اللواء مراد)

ووضع (ممدوح) البرقية بجواره ، ثم ما لبث أن راح فى سبات عميق .

(تمت بحمد الله)



المؤلف

ا . شريف شوقي

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي

● مطــاردة القنــاص ●

كان يدرك جيدًا أن التقدم نحو الكوخ فى هذه المنطقة المكشوفة سيعرضه حتمًا للهلاك .

فالكوخ ملئ بالثقوب ، ونوافــذه مفتوحة ، وقد أسدلت عليها ستائر قاتمة اللون .. ولابدّ أن القناص يختفى خلف أحد هذه الثقوب أو الستائر فى انتظار تقدمه ليوقع به فى الفخ الذى نصبه له .

العدد القادم : المهمــة الرهيبــة

ج ٦٠